

Sabreen ElDeeb
ملفات
عامر صقر
(1)
CRIME SCENE
FR CRIME SCENE
DO NOT EN
قضايا وتحقيقات

ملفات

عامر صقر

جـ (1) ـزء

مجموعة قصصية





جروب حلم-هن

ولنا مع الحرف حلم..

للانضمام للحلم

https://www.facebook.com/groups/rewayat7elmhon





بقلم

إدارة حلمهن

تصميم غلاف وداخلي وتنسيق

صابرين الديب





إهداء

للحُلم الذي بدأ كبيرًا، ولم يتوقف منذ ذلك الحين..

إلى حُلمنا..

حلم-هن.





إلى العدالة التي تغُضُّ الطرف عن الظلم أحيانًا.

لكل متهم ثبتتْ إدانته بلا دليل، للحق المسلوب بيَديّ الباطل.

إليكم.. نهدي رجلاً لا يعرف دربًا للمسير سواكم.





لا توجد جريمة كاملة، لكل مجرم سقطة، ولكل حقيقة طرف خيط وإن طُمس تحت رُكام الزيف.

**

الاسم: عامر صقر

السن: أربعون عامًا

المهنة: مقدم مباحث قسم "ال..."

على هذه الصفحات سنتقابل مع المحقق الذكي "عامر"..

رجل صلب، جاد، قوي الشكيمة، يمتلك من الفراسة والعلم ما يمكنه من قراءة الجناة والضحايا على حد سواء. ومن الدهاء ما يجعله الاختيار الأول لكل لغز مستغلق يمكن أن يقابلنا في قضية.

يحوز من دقة الملاحظة ما يمنحه نظرة ثاقبة لالتقاط أدق التفاصيل بمسرح الجريمة.





خبير في العثور على الثغرات بين السطور، مدخن شره، يمارس الرياضة بين الحين والآخر، خاصة إثر إصابته بنوبة قلبية أجبرته على الاعتناء أكثر بصحته.

حليق الوجه، مسَّ خصلاته قليل من رمادية شيب لا يتماشى مع عمره لكنه يتلاءم ببساطة مع ما مر به على مدار سنوات عمله. متزوج ولديه طفلان، وملفات متخمة بالجرائم الصعبة التي حلَّ أحجية معظمها ببراعة منقطعة النظير.

هنا على هذه الصفحات، سمح لنا بأن نغوص في ملفاته السرية وبين أوراقه، أن نستخرج منها بعضًا، ونتعرف على أهم تحقيقاته وما آلتْ إليه.

أن نتابع مهارته في حل القضايا عن قرب، ونراقب عن كثب كيفية سير كل منها بما يتناسب مع معايير السرية.

والآن..

لنفتح الأوراق، ونبدأ بالقراءة.





قضية برائحة الفانيليا

بقلم

أحلام سعد





ما المشترك بين الجريمة والانسان عدا أن الأخير فاعلها؟

تتشابه الجرائم مع البشر في أنها لها نفس الأركان من دوافع وجاني ومجني عليه كما الانسان ذو العينان والأنف الواحدة والفم الذي لا يتوقف عن الثرثرة..

عندما تنظر بعين التأمل تجد أن لكل بني آدم بصمة اصبع، حمض نووي ،طباع وكينونة..

بينما كل جريمة لها نمط ذاتي، خط سير متفرد، ورائحة مختلفة...

نعم قد يصبح للجريمة رائحة ونكهة، خاصة، مميزة، تعلق بالأنف والذاكرة كما لو كانت أنثى تعشقها..

هل تتعجب الفكرة ولا تصدقها؟

ماذا لو أخبرتك أنه هناك جريمة قتل برائحة الفانيليا؟

وأنها كانت ضمن ملفات "عامر صقر" السرية!







شمس تشرق في نهار يناير بعد ليلة شديدة المطر، نهار يتلألأ ليمحي أثر الغيوم، وكأن الكون يستعيد نشاطه بعد أيام من العصف والشتاء القارص، يستيقظ على صوت العصافير تزقزق في حرية، بينما ابنته الصغرى "ليان" تصعد فوق فراشه تتقافز في سعادة وتنطق بدهشة يعجب لها الزمان:

- أبي!.. هل أنتَ هنا؟

لا غريب في أن تجد الابنة والدها في المنزل الذي يعيشون فيه سوية لكنها ابنة عامر صقر!، لها وضع يختلف عن كل الأبناء، لم تعتد أن تراه على هيئته حديثة الاستيقاظ تلك أبدًا فإما هو بالعمل وذهب باكرًا للغاية أو قضى ليله ساهرًا هناك حيث يعمل على أوراق قضية ما ويعود في الصباح من أجل القليل من النوم بينما هي للتو تستيقظ لتستعد للمدرسة وبالطبع تمنعها أمها هي وأخوها من الدخول إليه أو الضجيج بالقرب من الغرفة حتى ينال الوالد بعض الراحة قبل أن يغادر من جديد..





فما الذي اختلف اليوم حتى تصادفه بالمنزل وكما تلاحظ أن مزاجه رائقًا على غير العادة!

تسأله بحماس وترقب:

- ألن تذهب للعمل؟

يحرك رأسه في نفي فتسأله والسعادة تتشكل في ثنايا ابتسامتها التي أظهرت سِنّها المكسور:

- هل اليوم عيد!

وكانت تقصد أحد العيدين الفطر أو الأضحى، لكنها لم تصم رمضان قبل وقت قريب ولم تُذبح لحوم الأضحية هذا الصباح، لذا الاثنان احتمالان ترجح استبعادهما، وإن كان اليوم جمعة فلمَ لا يستعد والدها للصلاة بالمسجد قبل أن يذهب بهم لمنزل الجدة ويعود ليباشر عمله في هدوء بغرفة المكتب؟





لا تفهم بالضبط ماهية اليوم لكنها ومع انشغاله الدائم فرصة أن تقضي معه النهار لا تتكرر كثيرًا وعليها أن تستغلها أسوأ استغلال..

مع ابتسامته التي تتأملها تضع الطفلة رأسها على بطنه وبذراعيها تحاوط جسده تضمه....

تتثاءب وتفتح زوجته عينيها على هذا المشهد، تداعب قدم الصغيرة بأناملها فتضحك وتتهرب منها، تنهرها وتخبرها "أمي لا تفعلي" بينما تردد الأخيرة لها:

- دعي والدك يستريح..

ويوقفها بيده:

- اتركيها ليلى..

ثم يتحرك ليضم زوجته أسفل ذراعه بينما الطفلة تشتد بضمتها حول خصره وكأن الصغيرة بفطرتها تعلم متى تهديه الربتة والعناق في توقيتها تمامًا بعد فترة طال عليه فيها ضغط العمل..





اليوم عطلة، منحته إياها الدولة احتفالاً بعيد الشرطة، يوم مستحق للعائلة التي بات يشتاق لها وهو معها، وزوجته التي يقصر في حقها وتتحمله بكل حب، حبيبته التي في كل يوم وساعة يمتن لها لأنها تتفهم طبيعة عمله فلا تشتت أفكاره وتضغط عليه بأشياء لا يستطيع أن يلبيها بسبب انشغاله المستمر، تراعي بيته وأطفاله وهو شخصيًا دون كلل، ملاكه الحارس حب العمر وشريكة الحياة..

ينتبه أنه كان شاردًا في عيني زوجته عندما استمع لصغيرته تناديه:

- ما رأيك أن تأخذني للسينما؟.. أنا وأنتَ فقط؟

ترفع الأم عينيها في تعجب:

- ونحن يا ملعونة!.. ماذا عني أنا وإياد؟.. أم تنوين استغلال الوضع لأن أخاكِ ما زال نائمًا!

تعض على شفتيها في رفض وشيء من الغيرة:





- ألا يحق لي أن أنفرد بأبي الحبيب ليوم واحد؟

تعود تسأل والدها بنبرة توسل:

- هل سنذهب يا أبي؟

يجيبها والدها بينما يداعب وجنتها:

- أخبرتك.. لا أستطيع أن أعدك بأشياء قد لا تتحقق..

وتعارض ببديهية ومنطق:

- وما الذي سيمنع تحققها في يوم عطلة؟

يشير نحو قلبه:

- أشعر وكأنهم سيحادثوني بعد قليل من أجل قضية جديدة..

تنفخ الهواء في تذمر:

- متى تتنهي تلك القضايا؟

يخبرها بهدوء بينما يمرر أنامله فوق خصلاتها الناعمة:

- عندما يتوقف الناس عن ارتكاب الجرائم..





- ولماذا هم يفعلونها؟

- لأنهم حمقى!

يحاوط رأسها بذراعيه، يغمض عيناه لها في تأكيد:

- أعدك أننا سنذهب للسينما بمفردنا..

تبتهج الطفلة بينما كان يرفع هاتفه الذي يهتز برنين فوق الكومود ليؤكد لها صدق توقعاته:

- لكن كما ترين ليس اليوم..

يجيب على معاونه ومنه يعلم شيئان..

انتهاء العطلة وكما توقع قضية قتل جديدة!

ينهض من فراشه دون انتظار، على كل حال لن يقضي عطلته بينما هناك قاتلاً يتجول في حرية وعليه أن يسلمه للعدالة في أقرب وقت...

**





في عجلة ارتدى ملابسه وسترته الجلدية وانطلق بسيارته وحمدًا لله قد استفاد من العطلة الرسمية من ناحية فراغ الشوارع من الزحام، وصل إلى مكتبه بالمباحث ومباشرة بعد أن جلس على مقعده أشعل سيجاره وأتاه الساعي بقدح القهوة، هكذا بدأ يشعر أنه بإمكانه أن يبدأ نهاره وقضيته الجديدة التي ستنال من عقله وذهنه الكثير حتى يفكك أعمدتها وتنهار أمامه كلغز تم تفكيكه...

ذات مرة أخبرته زوجته عنه كونه بمجرد أن يمسك خيط قضية جديدة ينفصل ذهنيًا عن العالم من حوله، لا يصبح معهم ولا مع البشر بل يظل هناك في موقع الجريمة!

لا يدري إن كان شغوفًا بعمله بتلك الدرجة أم أنها حمية زائدة للمسؤولية، لا يظن أنه سيميل للأولى إذ أن مصطلح الشغف يحوي في باطنه بعض العاطفة وفيما يخص العمل هو والعواطف في موضع الأعداء..





وصل معاونه "سيف" يفتح الباب في حماس يظهر من طرقته المعتادة وبمجرد أن جلس مقابله، وضع النقيب ملف التحقيقات الأولية أمامه:

- أعتذر عن يوم العطلة ولكن...

يقاطعه "عامر" بنبرة تشاكسه:

- لا تخفي حماسك عني حضرة النقيب..

يكمل بنظرة يشوبها الفخر:

- لأنه يجعلني أراني في شبابي...

والامتنان يعلو ملامح من يقابله:

- هذا ربما لأنني أتعلم المهنة من خلالك سيدي..

يكتفي "عامر" بابتسامة يفتح بعدها الملف أمامه ليدخل في صلب القضية:

- ما الأمر؟





- "طارق منير"... 32 عامًا.. صاحب شركة صيانة أجهزة كمبيوتر وزوجته "جميلة عابدين" 31 عامًا مهندسة تعمل في شركته.. وصلنا بلاغًا من الجيران قرابة الفجر أنهم قد استمعوا لطلق ناري صدح من شقتهم.. الزوج قد توفى في الحال والزوجة تم إسعافها إلى المشفى على الفور..

قلب الملف بين يديه يسأل:

- ودافع الجريمة؟

زفر معاونه في حيرة وكأنه يسأله عن حل أحجية لا ينجح في فك شفرتها بعد:

- الوضع العام يبدو سرقة..

- ولكن؟

- وجد رجالنا بمكان الحادث الكثير من الأشياء المغرية للسرقة على حالها..

يشرد قليلاً ليسأله:





- أقوال الزوجة؟

يحرك "سيف" رأسه نافيًا:

- حالتها لا تسمح لأخذ إفادتها..

يغلق الملف قليل التفاصيل بينما يسأله:

- وفريقنا الجنائي؟

- تحركوا بالفعل لجمع الأدلة بمكان الحادث...

في رأسه هناك الكثير من الأسئلة لم تتشكل بعد بسبب نقص التفاصيل وهذا الوضع يزعجه..

لذا لن ينتظر هنا لوقت أطول..

- فلنحق بهم إذًا..

يوقفه "سيف" بجملة قلبت الوضع في عينه رأسًا على عقب..

- جميلة الزوجة الثانية!







استقل "عامر" سيارته برفقة معاونه حتى مكان الحادث، الغموض ما زال يغلف القضية ويثير رغباته في المراقبة والتحليل عن قرب، ، بينما الصمت كان رفيق كلاهما الوحيد إلا من تبغ يدفئ الأجواء ويشعل درجات التركيز..

الجريمة وقعت بحي الزمالك، في داخل شقة في الدور السابع، من خلال محادثة النقيب مع حارس العقار علم أن الزوج قد ابتاعها وتزوج فيها المهندسة جميلة قبل عام، وأنه كثير السفر ولم يرزقوا بأولاد لليوم، أطال حديثه عن كرم الزوج وعن طيبة الزوجة، وأنهما عائلة قليلة الاختلاط بالجيران وبعيدة عن المشاكل، يرجح كفة السرقة في الميزان، ويدعو على السارقين وقليلي الشرف أبناء الحرام..

يتدخل "عامر" ليسأله عندما أدرك أن ثرثرته لن تضيف جديدًا بملف القضية:

- أين تسجيلات كاميرات المراقبة؟

يلتف له الحارس وقد ظهر توتره:





- الكاميرات معطلة منذ يومين..

يستوقف محادثه المدة التي تلفظ بها ورآها مصادفة غريبة:

- يومين!

يقترب منه ويسأله بجدية أرعبت الآخر:

- ولماذا لم يتم تصليح العطل في وقتها؟

شعر الحارس بورطة لم يدرك أبعادها ولا تفاصيلها، تكونت بعض قطرات العرق فوق جبينه:

- لا أعلم سيدي.. أبلغت المهندس المسؤول وقد تأخر... أظن بسبب العطلة الرسمية أجل مجيئه لبعد عودته منها..

يشرد "عامر" في حديثه ويقلبه داخل رأسه، ينزع نظارته الشمسية ويكتفي بإخباره قبل أن يغادر:

- سنرى!

في المصعد كان معاونه يسأله بفضول:

- بماذا تفكر سيدي؟





يشير له بسبابته لأعلى:

- تلك الأولى..

ويقصد أنها ليست مصادفة بل أول دليل على أنها ليست جريمة سرقة غير مخططة فمتى قابلنا سارقًا يهجم على المنازل ويعطل الكاميرات قبل السطو بيومين؟

بدا له أن هناك علاقة بين موعد تعطيل الكاميرا وتوقيت الجريمة حيث أجازة الدولة الرسمية لكنه لم يصرح بهذا واكتفى بشعوره داخله في الوقت الحالي..

دلفا للشقة وكان فريق البحث يعمل على أشده ما بين جمع الأدلة وتصوير محل الجريمة، ظل يراقب بعينه الوضع لبعض الوقت حتى جاءه معاونه "سيف":

- لا يوجد كسر بالباب أو أي نافذة محتمل أن يعبر منها المجرم...

يرفع "عامر" عينه يتفحص النوافذ التي أمامه:





- أو مجرمين!.. نحن لا نعرف..

يصل إلى الصالون حيث المكان الذي حدثت فيه الجريمة وردد عندما وجد بعض المأكولات على الطاولة:

- إذا قلنا أن المجرم استخدم حيلة توصيل الطعام وهدد الضحية بالمسدس بمجرد أن فتح له الباب...

يسكن، وفي سكونه تلتحم بعض النقاط، تتراص بجانب بعضها مثل أحجار الدومينو...

يشير إلى معبر الصالة وما يقابلها من الجهة الأخرى..

- منطقي أن يطلق عليه النار هنا أو هنا...

ثم يتجه ببصره للجوار:

- لكن ليس هنا إطلاقًا..

ثم يتوقف يركز، هناك رائحة مختلفة، تفرق عن الدم والبارود وتسطع بين عرق كل هؤلاء المتواجدين بالشقة لكن من ضآلتها لا يستطيع تمييزها...





يتحرك للأمام حيث سترة المجني عليه ملقى على الأريكة الجانبية، تمتد يده ليشتمه، ويتعمق فيه، ويستطيع أن يميزه، إنه عطر فانيليا خاص، أصلي وفاخر، من النوع الذي يعلق بالذاكرة، قوي، مركز مختلف، و... نسائي!

توجه للداخل حيث غرفة النوم، ظل يشتم زجاجات العطر الخاصة بالزوجة والمجني عليها لكنه لم يعثر على العطر المراد ولم يجد له أية أثر..

يمنح معاونه السترة ويأمره في تأكيد:

- اجعل الفريق يتتبع أثر ذلك العطر وأخبرني في حال وجدوه قد علق بأي ركن آخر بالشقة..

يحني "سيف" رأسه في طاعة، فيقع ناظره على كيس الطعام مجهول الاسم والمصدر فأمره من جديد:

- انظر لسجلات شركات الاتصالات وإن كان أي منهما قد قام بطلب الطعام من الخارج...





ثم يردد في تأكيد، هكذا يرتاح كونه يضمن عمله بعد أن يضع عينه فوق كافة التفاصيل..

- وارسل هذا الطعام ليفحصه الطب الشرعي...

يتقدم ليتفحص الكيس مستخدمًا قفازات جلدية وبين علب الطعام يلمح نصف إظفرًا مكسورًا لأنثى قامت بطلائه باللون الأحمر، ينظر لمعاونه وكأن كلاهما شرد بنفس الفكرة..

القضية تتعقد.. خاصة لو كان هناك أنثى جديدة!

يلتقطه بمحرمة ورقية ويسلمه لمن يجاوره من الفريق:

- هل نستطيع الوصول إلى صاحبته؟

يحك الرجل رأسه يفكر:

- لابد من وجود مشتبه بها سيادة المقدم...فقط نؤكد أو ننفى أنه يخصها..

يكتفي له بإيماءة توافق، بينما يجد زجاجة قطارة صغيرة مبهمة الشكل فيناولها له هي الأخرى ليعلم ماهيتها...





يترك ما في يده، يخرج سيجارة يشعلها تراقب عينه الأجواء ثم يوجه حديثه تلك المرة لمعاونه "سيف" بعد أن ينظر لساعة يده:

- في الصباح أريدك أن تحضر زوجة المجني عليه للمكتب من أجل التحقيق..

ينفث بسيجاره بعض الدخان ملوثًا الجو المشحون بالدم والفانيليا قبل أن يؤكد:

- نتحدث عن الزوجة الأولى..

"رحمة علوان"

تتمة الحكاية المبتورة للآن....

ضلع المثلث الأخير لعلاقة هي طرفها الثالث أو الأول!

يشعر أن بين أناملها الخيط الذي سيكر معه كل البقية..

أو ربما تأتيه بينما تحمل في جيبها كل الخيوط مجتمعة!

**





امرأة راقية، وشاح أسود، ملابس حداد، عيون متورمة من البكاء تغطيها بنظارة شمس داكنة، أنف محمر، وتبدو في حالة مزرية!

هذا ما شهده من بعيد قبل أن تقترب لتحط على أنفه رائحة مميزة سبق أن تعرف عليها...إنها الفانيليا نفسها!

والتي اشتمها على سترة القتيل وكانت تخالط الهواء في مكان الحادث.

أشار لها بالجلوس أمامه ثم ناولها محرمة ورقية:

- تعازينا لك سيدتي والبقاء للمولى..

تسقط نظارتها وتمسح دمعاتها قبل أن تحرك رأسها إيجابًا:

- ونعم بالله....

يقرأ بياناتها التي أمامه:

- رحمة علوان.. 24 عامًا.. ربة منزل..

يسألها ليفتتح التحقيق:





- متى آخر مرة رأيتِ فيها زوجك المرحوم؟

تبتلع ريقها وكأنها لم تتحمل لقبه الجديد الموثق برحيل أبدي لا يجوز معه عودة:

- حوالي شهر...

استنكرت عيناه المدة:

- شهر!

لم تعلق فسألها من جديد:

- هل هناك أية خلافات عائلية؟

تحرك رأسها نفيًا والدموع في العين تتجدد بينما هو يتفحص الأوراق بين يديه:

- لديكما طفلة وحيدة عمرها يقرب العام..

تؤكد له بعينيها وتشرد فيها:

- نعم.. ابنتنا "روان"..





يحاصرها بالسؤال من الجديد:

- ولماذا يبقى رجلاً بعيدًا عن زوجته وابنته الوحيدة لمدة شهر دون خلاف؟

تختنق نبرتها قبل أن تردد:

- عادة ينشغل عنا بسبب العمل...

لم يعجبه جوابها بالمرة ولا يمر بالعقل:

- أظن زوجك يرأس شركة لها مواعيد دوام ثابتة وتبعد عن محل إقامتكما فقط نصف ساعة على الأغلب!

تتهرب من حصاره بنبرة يظهر فيها عدم تحملها لإصراره على الطرق في تلك النقطة:

- من فضلك..أنا لا أعلم...

يعود بمقعده للخلف قليلاً يسألها:

- هل تعلمين عن زواجه؟





تنفجر باكية، وينتظرها تفرغ كل البكاء، تلتقط بعدها بعض الأنفاس قبل أن تجيب بمرارة:

- كانت تلك صدمة أخرى بعد خبر مقتله..

يميل بجسده للأمام:

- يعني لم يصلك أدنى خبر يخص زواجه من قبل!

- لا...

- ولم يكن هذا سبب الخلاف الذي جعلك لا تلتقيه مدة شهر؟

ترفض بانفعال ما يقول:

- أخبرتك أنه لا خلاف...

يصمت قليلاً يقرأ انفعالاتها، يشعل لفافة تبغه قبل أن يخبرها بكل هدوء:

- هل تعتادين استخدام هذا العطر؟

ترفع نظرها ناحيته في دهشة قبل أن يضع تتمة سؤاله:





- بالفانيليا أليس كذلك؟

تلتف برأسها بالجوار وكأنها تفتش عن رائحة عطرها الخاص حولها:

- نعم.. هذا عطري الخاص واستخدمه لسنوات..

تتوتر نبرتها في شك وتوجس:

- ولماذا السؤال؟

يجيبها بكل وضوح:

- لأننا وجدنا أثر لعطرك الخاص في مكان الحادث وعلى سترة زوجك الذي ترددي أنك لم تلتقيه منذ شهر...

تتكوم الدموع في عينيها والرعب يسيطر عليها:

- لكنني لم ألتقيه أقسم لك..

وتدافع عن نفسها:

- كما أنه مجرد عطر بإمكان أي شخص أن يبتاعه ويستخدمه..





يتقدم بوجهه منها:

- سيدة رحمة.. أين كنتِ ليلة الجريمة بين الساعة الثالثة فجرًا والخامسة صباحًا؟

- في المنزل مع ابنتي وأمي...

- هل هناك من يشهد على أقوالك؟

تحرك له رأسها في يأس بدأ يسيطر عليها:

- أمي مريضة زهايمر.. وابنتي رضيعة...

يبسط ذراعه لها يتظاهر بالأسف:

- يا لسوء حظك!

ويسألها في حزم وكأنه يمنحها فرصة أخيرة للبوح:

- امنحيني سببًا واحدًا يجعلني ألا أرسلك للنيابة كونك المشتبه الرئيسي في قتل زوجك وإطلاق الرصاص على زوجته الثانية!

تحرك رأسها سريعًا ترفض بكل قواها:





- كيف؟.. لماذا أفعلها؟

- رواية أنثى معتادة.. الثأر للكرامة من الزوج الخائن...

تصرخ بكل ما فيها:

- لااااااااا

يردد لها بكل أسف:

- لم تتعاوني معنا سيدة رحمة..

ليس هذا فحسب.. بل كل أجوبتها مائعة وغير مقنعة.. تثير حولها الشكوك لا تنفيها..

تتوسل إليه كي لا يفعل بها هذا:

- أقسم لك أنني بريئة....

تنهار وتخور قواها وتخرج منها التتمة في صعوبة:

- ابنتي صغيرة لن تتحمل دوني...





يضغط على الزر جواره حيث العسكري الذي سيضع القيود بين ذراعيها وحينها توقفه معترفة:

- حسنًا حدث خلاف بيننا قبل فترة وطالبته بالطلاق لكني لم أعرف أنه قد تزوج إلا بعد موته..

يوقف "عامر" من هم بأخذها بإشارة من عينيه قبل أن يسألها:

- ما سبب هذا الخلاف؟

تمسح دموعها في عجال والغيوم تسطع فوق سطح مقلتيها:

- كامرأة عاشقة كنت أشعر بخيانته وكان ينكر وقد أرهقني الشك ومللت تلك العيشة..

تتوسل له بكل ما فيها في دموع ألا يلقي بها في السجن:

- أرجوك ليس هناك من يعتني بابنتي سواي..

يحرك رأسه في أسف لها، سلطة القانون لها اليد العليا، لا مكان لتلك الاعتبارات هنا، لا يوجد أمامه امرأة ولا أم لطفلة، بل فقط قاتل وقتيل وامرأة مصابة بطلق ناري تصارع الموت في





مشفى، عينه لن ترى إلا جريمة مضاعفة هي حتى الآن المشتبه الأول أمامه فيها، بينما كان يصطحبها العسكري كانت تصرخ وتقسم أنها بريئة ولم تفعل، وكان معاونه يمر للداخل، ظل يراقبها حتى ابتعادها والتف له يسأل:

- تظنها تكذب؟

ينفي برأسه وعينه تشرد بعيدًا عن المشهد لوهلة:

- أظنها صادقة..

يعتدل "سيف" يستفسر بجدية:

- هكذا تشعر؟

ينسف سؤاله من محله:

- المشاعر والعواطف لا وجود لها بعملنا حضرة النقيب..

يشير إلى رأسه بسبابته:

- فقط ما تقوله الدلائل وما يرويه المنطق..

يتسائل معاونه بفضول طالب لا يمل من التعلم ولا من معلمه:





- ماذا يروي لك المنطق؟

تتحرك يداه ليمسك القلم من أمامه، يقلبه بين أنامله:

- لم أعهد قضية قتل أول خيوطها يجرنا نحو القاتل بهذا الشكل...

لم تريحه تلك السهولة..

يجد أثر واضح لعطر المشتبه بها على سترة القتيل بينما مع التحقيق تخبره أنها لم تلتقي معه منذ شهر ولا تملك ما يثبت عدم تواجدها في مكان الحادث وقت الجريمة..

وماذا أيضًا؟.. من يملك دوافع لقتل رجل وامرأته الأخرى إلا زوجته المجروحة؟

تبدو تلك الدلائل مزوعة عنوة!

يردد والحيرة تسطو على نبرته:

- وكأنها وقعت بالمركز وتكاثرت حولها الدوائر كي لا ترى أعيننا ما هو دونها...





يصمت المعاون شاردًا في وجهة نظره التي دومًا تقنعه وعادة ما تكون صحيحة في نهاية المطاف:

- بماذا تفكر؟

يرفع عينيه يتسائل عن مفتاح اللغز، الشخص الوحيد الذي حضر الجريمة وواجه القاتل، الزوجة الثانية "جميلة":

- هل هناك أخبار من المشفى؟

إنه قادم من هناك.. ولم ينجح بأخذ إفادتها..

- أنقذوها بالعملية وأخرجوا الرصاصة لكنها في حالة صدمة عصبية...

يهم "عامر" بالنهوض بنية الذهاب لهناك ويوقفه الآخر:

- سيدي لم يسمح الطبيب بعد...

يضع سلاحه الميري خلف خصره:

- سأجد طريقة..

وإن لم يجد سيتأمل الأوضاع عن كثب...





فهو يحب أن يكون قريبًا من كل جوانب قضاياه..

يحاوط التفاصيل فلا تتسلل من بين أنامله..

أين تبحث عن القاتل؟

حول ضحيته ودليل إدانته الوحيد..

من يدري قد يلتقي بقاتلها هناك..أمام غرفتها!

**

كانت زيارته أسرع مما تخيل..

لم يسمح الطبيب ولكنه وعده أنه لن يأخذ أقوالها فقط سيطمأنها ويتأكد من إجراءات سلامتها وأمانها..

بعدما طرق الباب لم تسمح له بدخول لكنه فعل، ألقى السلام ولم تجبه، فقط تتأمل سقف الغرفة في دموع وسكون من توابع صدمة عصبية ومهدئ يسري بين شرايينها بأمر الطبيب،





جلس في أقرب مقعد قريب منها، عرفها على نفسه وأكد عليها أنه ليس هنا من أجل الإفادة بل حمايتها، ثم باغتها بسؤال:

- سيدة "جميلة".. ألا يوجد لديك أية أقارب أو أي صديقة تعتني بكِ في هذا المشفى؟

تثبت ناظرها عليه والألم يتجدد في وجهها، ينهض على أثره معتذرًا لها:

- أعتذر لم أقصد إزعاجك.. هذا آخر ما أريده...

يمد يده مصافحًا إياها:

- جئت أبشرك أننا قد أمسكنا المشتبهة بها.. القاتلة زوجته الأولى التي أطلقت عليكما الرصاص...

في هوان وآلية مدت له يدها له تبادله الصفح وإن كانت ملامحها على حالها الساكن المنقبض:





- مع هذا سأترك رجالي على باب غرفتك حتى تشعرين بالأمان... أعانك الله على مصابك وأتم نعمة شفائك في أقرب وقت..

لم يظل عندها كثيرًا لأنه يعلم أنه سيأتي هذا اليوم الذي سوف يتحدث فيه مطولاً معها عن أحداث ليلتها المشؤومة..

لكنه لن يبقى مكتوف الأيدي حتى تلك اللحظة...

استمرت التحقيقات على حالها بأمره، وقد صارح رئيس النيابة عن شكوكه بخصوص براءة الزوجة الأولى والذي أخرجها بضمان محل إقامتها ولحين استكمال الأدلة التي ستبرأها أو تدينها....

وعن ما تبقى من ظنون فلنتركها هناك محلها حتى..إشعار آخر!

**

أين تبحث عن القاتل؟

حول ضحيته ودليل إدانته الوحيد..





لأنه بكل تأكيد سيظل يحوم حولها باستمرار...

تم فتح المحضر في ساعته وتاريخه...

- سيدة "جميلة" أخبريني كيف خططتِ لقتل زوجك؟

**

أحذروا كيد النساء..

يبدو أنها ليست مجرد مقولة..

كانت جريمة نظيفة، مخطط لها بعناية لكن كل جريمة لها نهاية ولا يهرب القاتل طويلاً، فمهما طالت الأيام سوف تدور لتكشفها...

بدأت الخيوط تتجمع في عقله عندما ذهب ليطمئن عليها بالمشفى ولمح إظفرها النصف مكسور والمطلي بالأحمر وقد وجد بقيته داخل كيس طعام به زجاجة قطارة حسب تقرير الطب الشرعي تحوي مادة تسبب الشلل العصبي المؤقت!





حينها شرد... كيف لها كامرأة أضعف منه في البنية والجسد أن تضمن عملها دون ذلك؟

على ما يبدو أنها كانت ستتخلص من الكيس الذي يحوي بقايا الطعام والدواء وسهوًا انكسر إظفرها وسقط هناك لكنها توترت وتركته محله، بعقل غائب أطلقت النار على نفسها في موضع آمن لن يقتلها وأكملت خطتها بتلك الطريقة حتى تبعد الشكوك عنها!

فكر طويلاً.. ما الذي يرهب قاتلاً ويفسد عمله إلا رؤيته لشاهد عيان قد رأى جريمته!

وهذا أول خيط بدأ يتكون...

الكاميرات التي تعطلت قبل الجريمة بيومين كي تنفي عدم دخول أي أشخاص غرباء لشقتها...

من بإمكانه أن يفعل ذلك بسهولة عداها كونها مهندسة الكترونيات تسكن بالعقار ذاته؟





وهذا الثاني...

عطر الفانيليا الذي وجد أثره على سترة القتيل ويخص الزوجة الأولى وقد قامت الثانية بنثره فوق ملابسه كي تنقل الشكوك ناحيتها.. غيرة وربما انتقامًا منها..

هذا الثالث...

نجاتها بالأصل من حادثة إطلاق النار بتلك السهولة كان من المفترض أن يثير شكوكه من البداية..

لكن بسبب انتقالها السريع للمشفى لإسعافها لم يكن هناك أدنى مجال لعرضها على الفحص من قبل الطب الشرعي والذي كان سيحسم القضية كونها هي من أطلقت على نفسها الرصاصة من البداية..

وقتها انتبه لأثر دمها على الأرض، وأنها قد تحركت من موضعها وبرر له معاونه باحتمالية سعي منها لإنقاذ نفسها كي تهاتف من يسعفها..





لم يتشكل في عقله احتمالاً آخر، لكن بعد زيارته لها بدأت شكوكه، وقد زادت مع إفادتها الضعيفة بعد تحسنها كونها لم ترَ وجه القاتل ولا تعرفه، وعند خروج تقرير الطب الشرعي بخصوص المادة التي زرعتها في طعامه وسببت له حالة من شلل عصبي مؤقت أصبح واثقًا وكان ينقصه فقط الاثبات...

شاهد العيان المجهول المحتمل أنه رآها!

هل تعلم كم فتش عن هذا الشاهد في كل شقة تجاورهم أو تطل عليهم، كم بحث وكم دار على أقدامه، كم حاول أن يدعم ويطمأن تحسبًا لو كان منهم من يخاف...

لم يجد له أية أثر، بدأ يشعر أنه ليس له أدنى وجود سوى بعقله، ربما الذي وترها وجعلها تنسى التخلص من كيس الطعام شيئًا آخر ولم يشهد جريمتها أية مخلوق!

راقبها لأسابيع بعد خروجها من المشفى، بداية من هاتفها، إلى رجل يتبع كل خطواتها كظل، في أمل أن تصطحبه لهذا الشاهد، فيثبت إدانتها وتنتهي القضية، لكنها وبعد أسابيع





وعدا المقابر لم تذهب إلا لزوجته الأولى ودار بينهما حوارًا سخيفًا عن كونها لا تستحق أن تكون زوجته في النور وأنه يكرهها على عكسها التي كانت تملك قلبه وكيانه...

أغلقت كل المنافذ وأنهت صبره بخصوص شاهد القضية والدليل الغير موجود...

فاضطر أن يفتعل واحدًا!

أخذها في العودة لمكتبه، أوهمها أنها مطلوبة للعدالة وأنه هناك من جاء للقسم وأدلى بشهادته عن الجريمة...

" سيدة جميلة أحد جيرانك قد رآك تطلقين النار على زوجك ثم على نفسك.. كان يخافك لكن ضميره لم يتحمل مدة أطول...مارأيك؟"

وعندما رفضت الاتهام وكان يتوقع أخبرها أنه هناك فيديو مصورًا لها يثبت كلامه!





عندها تجمدت محلها فطرق على الحديد وواجهها بالأدلة الأخرى..

"الطعام الملوث بالمادة التي أصابت القتيل بالشلل وبصماتها التي على الزجاجة.. سلاح الجريمة الذي يحمل بصماتها وقد دفنته أسفل بلاطة متحركة كانت قد جهزت مكانها مسبقًا وقد وجده الفريق لاحقًا وقبل فقط أيام بجوار زجاجة عطر تحمل رائحة فانيليا، الكاميرات التي عطلتها، وتقرير تشريح الجثة الذي ثبت فيه أنه قد تعرض للشلل العضوي قبل وفاته"

كان يحرك رأسه نافيًا لها بأنه لا هروب بعد كل هذا ولا داعي للمزيد من الإنكار وقد تجمعت على إدانتها كل الدلائل...

" سيدة "جميلة" أخبريني متى ولماذا خططت لقتل زوجك؟"

وخرجت إجوبتها على شكل شلال من انهيار...

" عندما فكر أن يطلقني ليذهب لها ويراضيها قررت قتله"





" كانت تشعر بالشك فتركته.. وهو رآني منذ ذلك الحين نزوة عليه أن يتخلص منها كي تعود له تلك الساقطة"

" ابتاع لها من الانترنت زجاجة عطرها المفضل، نعم كنت أتجسس على هاتفه!، أرسله لها مع باقة ورد رائعة لا تشبهها بل تشبه رقتي وذوقي تمامًا"

" كان لا يتحمل افتراقها عنه وأصبح كالمجنون.. تخيل كنت أراقبه وأنا في فراشه بينما يخونني ويرسل لها رسائل التوسل والاعتذار!"

"قال لي أنه يريد أن ينهي كل شيء، توسلت إليه ألا يفعل، أنا لا أملك في تلك الدنيا الكبيرة سواه، فكيف يتخلى عني بتلك البساطة؟"

"أنا حبيبته الأولى، نعم هي تزوجته قبلي لكنه صديقي الجامعي وعرفته أولاً، فرقتنا الأيام وعاد يبحث عني عندما افتتح شركته، أقنعني بترك عملي والانضمام له لأنه يريد كفائتي المهنية لكن في قرارة نفسي كنت واثقة من أنه يعشقني في السر





منذ أول مرة تقابلنا فيها بالمدرج الجامعي وكانت تلك حجته كي نجتمع كل صباح"

"خطط أن يودعني، وقال أنها آخر ليلة بيننا، كان يثرثر أنه لن يتحمل أن يفترق عن ابنته الصغيرة، كان يكذب كنت أرى حبه لها في عينه ولم يبذل أدنى مجهود كي يداريه هذا الوغد.. هل تدرك كم جرحني هذا؟"

"كنت أريد أن أنجب له الأولاد والبنين ولكنه قد حرمني حق الأمومة.. أخذه مني ومنحها إياه بكل ظلم وتجبر. "

"يستحق الموت، ومع هذا قررت منحه فرصة أخيرة، بينما كنت أصوب ناحيته المسدس وكان مفعول الدواء قد بدأ يضعفه خيرته بيني وبينها، وعدته أنني سأسامحه على خيانته لي لو تركها هي وبقى جواري"

"هل تعلم ماذا فعل بينما لا وضعه ولا حالته تسمح، حرك رأسه نفيًا.. قال بنبرة ثقيلة وبعد معاناة أنه يحب رحمة!.. اختارها في النهاية.. ورغم كل شيء قد فعلته له.. مع حبي





البالغ له.. في هذا الكون الكبير لا توجد امرأة قد تعشقه مثلي.. أنا التي استحقه لا هي التي اختارت التخلي عند أول عثرة قابلتها معه"

"قبل أن يسقط بفقدان سيطرة على جسده المشلول وبينما أنا أخيره بينها وبين الرصاصة كانت عيناه تريدها.. رأيتها تستقر في مقلتيه.. شاهدت عدوتي تقطن قلبه...وأنا فقط خارج الصورة.. لم يأخذ الأمر مني دقيقة أفكر كي أرسم نهاية تستحق لقب مأساة.. مأساتي أنا كعاشقة في الظل ولن ترى النور مهما كان!"

"لم أفكر مرتين، نثرت عطرها فوق سترته، أطلقت الرصاص على هذا القلب المريض بها وأتممت خطتي.. أقتله وأصيب نفسي مباشرة فوق مكان آمن أخفيت به سلاح الجريمة، هكذا أحقق انتقامي، أورطها في قتله وإن حالفها الحظ ونجت أكتفي بأن أحرق قلبها عليه طوال العمر.."





وبين ذهوله وجنونها تقدمت بوجهها تسأله في نبرة سيكوباتية درامية مريبة:

"إنه يعشقني أنا أليس كذلك؟.. صارحني هل كان يستحق القتل أم أنني كنت قاسية معه بعض الشيء وقد تسرعت؟"

تمت





قضية خيانة شرعية

بقلم

إيمان خليفة




فُتح باب المنزل، كان ذهبي اللون، كما اختارته هي يومًا..

مرَّ من خلاله متوجسًا، مرآة ضخمة تُجاوره، تتمم على زينتها من خلالها قبل النزول..

مقعد زيتوني في الجوار، يُحبه هو، واختار مكانه خصيصًا ليجلس به منتظرًا انتهائها..

يدلف أكثر، ويلمح قميصًا رجاليًا أبيضَ اللون.. ولا يخصه.. ملقى بإهمال، يتبعه ثوبها الأزرق.. الذي يعشقه!

سروال من الجينز القاتم، وقطعتي ملابس داخلية.. حمراء.. ملقاة بالتتابع!

صمتٌ يُحيط بعقله، يحميه مما يثير غثيانه، ساقاه تتحركان، فقط تتبع طريقًا ممهدًا لما أيقن بحدوثه!

داخل حمامه الخاص وجدهما، تحيط رقبته، ويقبل عنقها..

مشهد عري تام..

مشهد فج، إذا جاء بشاشة تلفاز، ستُغمض الأعين تلقائيًا..





مشهد حي لعينيه!

مشهد لسقوط زوجته من أعلى قمة، لأسفل قاع..

مشهد جعله يرفع تلك الزجاجة الموضوعة على جانب حوض الاستحمام، ويوجهها بكل قوته ناحية رأسها!

**

حرارة الصيف مقيتة!

لا يحتملها، خاصةً مع رابطة العنق التي تصر زوجته كل صباح على أن تربطها له بعناية!

تأفف، يتبعه اشتعال تبغ، وفك لتلك الخانقة لعنقه، وخروج من السيارة بعدما حمى عينيه من أشعة الشمس بنظارته السوداء..

- أخيرًا وصلت سيد عامر!

تأفف آخر، يتبعه سحابة دخانية تنتشر أمام عيني سيف الذي اقترب ليوقفه عامر عن الحديث:





- قضية جديدة!

نبرة مهتمة، جعلت ابتسامة سيف ترتسم، وتوكيد منه:

- بالطبع، وعسيرة كسائر قضاياك..

يهز رأسه، والمعنى لا فائدة.. سيف يمزح، رُغم انتظار مقتول جديد ربما.. سار معه بالطريق فيما يقص الآخر التفاصيل.. التي نالت انتباهه الكامل من بداية الحديث!

- حسنًا، لنستجوب الجاني!

وتلك المرة، نبرة صوت جادة، مع ارتفاع حاجب مهتم!

.....

- لقد قتلتهما!

يقولها بذعر، وينهار جسده إثر كلماته، فيسقط على المقعد المعد خصيصًا له..

يطأطأ برأسه للأسفل، وتلمع دمعة بعينيه..

دمعة رجلٍ غدر به الزمن!





- لماذا؟

يرفع رأسه لمحدثه، ويأتي الجواب بنبرة حارقة.. قليلة الحيلة!

- خانتني معه!!

يهمهم عامر، وهو يناظر أوراق قضيته، يضطجع بجلسته، غير مهتم لتلك الدموع، مع سؤال عابر:

- أخبرني وليد.. كيف تعرفتما أنت وزوجتك؟

- وما الداعي لتسألني هذا السؤال عن تلك الساقطة!

اختلفت النبرة، مع ارتفاع صوت زعيقه، ليهدئه الآخر:

- لندردش قليلاً علّك تهدأ، ونستطيع عندها استكمال التحقيق..

عندها بدأ وليد الحديث، برأس منكس بالخزي..

- تقابلنا في الجامعة، كانت تصغرني بعامين، منذ رأيتها، وتمنيتها لنفسي..

يومىء عامر برأسه، ويستكمل وليد:





- تعرفت إليها، وتعاهدنا على الطريق سويًا.. استكملنا دراستنا.. تخرجت قبلها، وبحثت عن العمل، وكنا نتقابل مرة أسبوعيًا..

ندت عنه ضحكة ساخرة، ثم استكمل إثرها:

- أتعلم أن بيتنا هذا رأيناه يومًا أثناء سيرنا سويًا بإحدى إجازات عملي، كانت تتناول المثلجات، وكنت أراقبها بشغف.. رأت هي المنزل أولاً...

وتذكر لحظتها..

لمعة عينيها

دورانها أمام المنزل بثوبها الذي يدور من حولها

ومع ضحكتها، وذوبان الحلوى حول فمها، قالت بسعادة غامرة:

- أتمنى أن نشتري هذا المنزل يومًا.. أحبه كثيرًا، آتي يوميًا هنا فقط لأراه!

فيهمس هو بينما لا يرى غيرها:





- وأنا أحبك أنتِ!

تحمر وجنتيها، ويأكلها خجلها، فتستدير سريعًا، وتستكمل الحلوى دون رد!

ولا داعي له، فعيناها تُجيبه دائمًا..

- أتود التدخين؟

سأل عامر دون اهتمام ظاهري، والآخر يمسح رأسه، عله يزيل تلك الصور من عقله، مع جواب شاكر:

- شكرًا سيدي، لا أدخن!

أشعل هو تبغه، مع كلمات روتينية:

- أتمنى ألا يزعجك دخان تبغي..

ثم همهم بعد ارتشافة منها:

- ومتى تزوجتما؟

- قبل عامين بدأت ظروفي تتحسن، استطعت شراء المنزل بالتقسيط، حينها تقدمت للزواج، وتمَّ الأمر بيسر..





- هل كان زواجًا سعيدًا؟

يتعجل بالسؤال، والآخر يستفيض بالجواب:

- بالبداية نعم، كانت سعادتنا لا مثيل لها ، حتى علمت خديجة أنني لن أستطيع الإنجاب، تحولت كليًا منذ حينها!

- كيف؟

اختفى هدوئه في تلك اللحظة، مع تذكره لتحول حياتهما للنقيض..

كسرة غريبة ظهرت بداخل عينيه، فضغط على قبضته اليمنى وكأنه يقاوم ذاته الغاضبة..

زفر بعنفٍ، ولمعت الدمعة بنفس اللحظة!

وجاء صوته المليء بألمه القاسي:

- كانت تغضب لأقل شيء، تصرخ بي كثيرًا، تخرج كثيرًا، وتعود بوقتٍ متأخر.. وعندما أسألها عما تفعله بالخارج، تكتفي





بالقول أنها تستمتع بوقتها، فلن تجلس طوال الوقت وحيدة بالمنزل..

نكَّس رأسه للأسفل، وراقب عامر انفعالاته.. انفعالات رجلٍ كسرته امرأته!

- هل طلبت الطلاق؟

- لا

جامحة، بعد رفعة رأسٍ.. وقسوة عينين!

- هل عرضته أنتَ؟

والسؤال بسيط, هاديء.. بل روتيني..

- بالطبع لا

جواب عصبي، كسابقه، فاكتفى الآخر بالإيماءة..

ثُمَّ نهض بعدما جمع أوراقه، وهتف به:

- سأعود بعد قليل وليد..





وخرج..

ذهب لمكتب سيف، الذي نهض سريعًا يستفسر:

- ها، كيف مرَّ التحقيق؟

أعطاه بعض الأوراق، ثُمَّ هتف به:

- لَم أتيقن من شيء بعد.. هل لديك أية أخبار؟

- نعم، استيقظت الضحية، وسألتها بضع أسئلة.. لَم أُكثر لأن حالتها غير مستقرة بعد..

ضيق عامر حاجبيه، متسائلاً:

- ماذا قالت عنه؟

- كان صديقًا لها بالجامعة بالفعل، وانفصلا بنهاية عامها الدراسي لظروفه المادية، ولَم تسمع عنه أي شيء منذ أعوام..

أومأ عامر برأسه، ثُم سأل قبل رحيل:

- ماذا عن زوجها؟





- إصاباته صعبة، تحمل عنها الكثير من الضرب.. قالت بحسرة أنه خبأها خلفه كي لا يظهر عريها للجاني.. ومع ذلك لم يسلم وجهها من الإصابات البالغة ..

هز عامر رأسه بتفكير، فسأل سيف:

- هل تظنه مجنونًا بالفعل؟

- دردشت معه قليلاً، والقليل لن يكفي للحكم.. استدعِ اللجنة النفسية، ولنرَ النتيجة..

**

لعبة الشطرنج الأخيرة لَم تنتهِ، ويعتبره فأل سيء عندما تبدأ قضية جديدة مع طاولة شطرنج قديمة!

يُحرك قطعه برتابة، ولمعة عين وليد المتحسرة لا تتركه..

الرجل جُنَّ عندما تركته..

حدثه الطبيب النفسي، أخبره أن أغلب المجرمين يكذبون بشأن الجنون، ومع ذلك فمبدأيًا وليد ليس بكاذب..





خبرته العملية تقول له ذلك، ولكن سيكون لديه الكثير من الجلسات قبل التقرير النهائي..

قطعة أخرى تتحرك، تزامنت مع تبغه الذي اشتعل، ودلوف ليلى في اللحظة الخطأ!

- لا فائدة منك.. تُصر على أذية نفسك بهذا التبغ!

بسمة جانبية، لم ترها عينيها، وصوته الساخر دائمًا:

- أنتِ لا تملين ليلى، تُصرين على تكرار الكلام نفسه في كل مرة!

- أنت رجل مريض عامر.. أصابتك ذبحة من قبل، ومع ذلك تُجهد نفسك بالعمل، تعود متأخرًا، لا تأكل إلا الفتات، وتشعل تبغك هذا في كل وقت..

- ولكني أمارس الرياضة ، لا تنكري ذلك..

- عاااامر

ضحك تلك المرة بعدما أطفأ لفافته، وجاءها صوته بعدها جادًا:





- هذه اللعبة لن تنتهي ..

فأجابته ببساطة:

- ستنتهي مع حل قضيتك..

وتركته وخرجت، تاركة إياه لأفكاره، وقطع الشطرنج خاصته، ووليد... ذاك الذي اقتحم منزل سيدة متزوجة، وهم بقتلها وزوجها، لولا إرادة الله لهما بالحياة..

**

- هل خديجة بخير سيدي؟

يسأله متى رآه.. عيناه مليئة بالندم، متلهفة للاطمئنان، وهو، عامر، يتابع كل همسة منه:

- ألم تقل أنك قتلتها..

يشهق، ويبرر:

- أقسم أنني لم أقصد قتلها، كنت أنوي أن أوضح لها فقط أنها تخونني.. أقسم لك.. أقسم لك!





يتلفت من حوله، وكأنه يبحث عن من يؤازره:

- والخيانة خطأ.. أليست بخطأ سيدي!

حديث موجه للحائط بجانبه، فيستدرجه عامر بجوابه:

- بالطبع خطأ..

يناظره باستغراب، ويسأل كمن رآه توًا:

- متى أتيت سيد عامر؟

- منذ قليل وليد..

اعتاد منه ذاك، فأصبح يجيبه ببساطة على أسئلته، فيما ناظره وليد بشك، بينما يراقب باب الغرفة المغلق عليهما!

ظلَّ صامتًا للحظة، ثُمَّ سأله باهتمام:

- هل خديجة بخير سيدي؟

وذاك التكرار أيضًا اعتاده!

- لا تقلق وليد، أضحت بخير..





أومأ بسعادة بالغة،ثُم هتف بنبرة سريعة:

- هي تعلم أنني لم أقصد قتلها.. هي ستسامحني، أليس كذلك سيدي..!

والتف للخلف سريعًا وكأنه يحدث آخر:

- صدقني كنت أؤدبها فقط يا غسان.. أقسم لم أقصد قتلها!

وعاد لعامر ثانيةً:

- السيد عامر يُصدقني، ولذا لا يهمني تكذيبك لي غسان..

- من غسان هذا يا وليد؟

يسأله بغرابة، فيجيبه بلا اهتمام:

- صديقي، يخبرني أن خديجة لن تسامحني سيد عامر، أخبره أنتَ أنها ستسامحني!

عيناه اليوم عليها غمامة غريبة، وكأنه يرى أناس آخرين بالغرفة، يتلفت هنا وهناك, يُحدث هذا وذاك..

ويراقبه عامر بصمت، ثم يهتف به:





- هل زارك الطبيب أحمد اليوم؟

- لا أحب هذا الرجل!

نبرة عدائية، مع نظرة عين قاسية.. جعلته يسأل:

- لماذا؟

- يسأل عن خديجة كثيرًا، عله معجب بها!

- لا تقلق، لم يقابلها من قبل، هو فقط يساعدك..

- لا أحتاج مساعدة أحد..

ارتفع صوته، فسكت عامر، يراقب أفعاله، يسجل ملاحظاته، ويقول مطمئنًا:

- اهدأ وليد، الطبيب أحمد سيستضيفك لديه وسيحكي لك أخبار خديجة دائمًا..

لتلمع عيناه وتتحول نبرته لحنوٍ غريب:

- خديجة روحي.. لن أستطيع الاستغناء عنها سيدي.. مهما أخطأت.. أقسم لكَ مهما أخطأت سأسامحها..





ثم ينهض، يدور من حوله، يفرك أصابعه، ويَعض أنامل الندم.. يعود للجلوس ثانية، وتدور عيناه بالغرفة.. ثم تعود لعامر:

- لن أعاقبها ثانيةً.. لن أكرر فعلتي تلك.. خديجة هشة، لن تحتمل شخصيتي هذه سيدي..

- فلتتركها إذًا وليد..

يقولها برتابة، فامتلأت أعين وليد بالشراسة، وكاد يهجم على عامر!

- ماذا تقول.. أتركها! هل جُننت!

يوقفه عامر عن اندفاعه، فيقول الآخر من بين أنينه:

- هل أخبرتك خديجة بهذا، هل تريد تلك العاهرة تركي! سوف أقتلها.. والله سوف أقتلها..

فدخل سيف الذي يراقب التحقيق من الخارج، يوقف وليد مبعدًا إياه عن عامر، الذي ملَّ أفعاله تلك!





تركاه وخرجا، بعدما دلف (عسكري) آخذًا إياه عنوةً لسجنه، وزعيقه، ووعيده، بل وألفاظه النابية يسمعها كل من في المقر!

خرج عامر وسيف من الغرفة، وبعد نقاشٍ طال، وقراءة دقيقة لتقرير الطبيب النفسي..

أنهى عامر تقريره، واضعًا إياه مع تقرير الطبيب الذي يفي بأن وليد السيد مريض ذهان، ويجب إدراجه بمشفى الأمراض النفسية والعصبية..

**

بعد مرور عام

وقف عامر بمكتبه بالمنزل، ينهي بعض أوراق العمل، ويتمم على طاولة الشطرنج خاصته..

منذ قامت مديرة منزل أحضرتها زوجته قبل عام مضى بإغلاق الطاولة وبعثرة قطعها وهو الذي كان على وشك قتل الملك بها، حتى منع دخول أي أحد لهذه الغرفة.. حتى أولاده!





وها هم ينتظرونه بالخارج، ليأخذهم برحلة برية, مجبرٌ عليها لا بطل...

تذكر لعبته تلك..

ووليد المقيم بالمشفى حتى الآن..

أشفق عليه للحظة، وقوطعت أفكاره عن وليد مع نداء زوجته:

- هيا عامر، أرجوك اخرج من هذا القمقم الذي تعيش به، ودعنا نتحرك كي لا نتأخر..

ابتسم على تشبيهها لغرفة مكتبه، وترك وليد جانبًا، وخرج إليهم..

غير عالمٍ بما يتلقاه الآخر من جلسات، أدوية تُخمل عقله، مهدئات تمنع ثوراته، وضربات في بعض الأحيان عندما يصر على لقاء خديجة..





وبهذه اللحظة، لا يعلم أن الآخر جلس جوار السور المحيط بالمشفى، مغمضًا عينيه، مبتسمًا بفرح، بعدما أنهى نقشه على الحائط..

أربع رسومات متفرقات، وبنقشات مختلفة.. وكأن من رسمهم ليس بنفس الشخص..

الأولى لفتاة صغيرة بالسن، لَم تتعد عامها السادس عشر..

لمسها بأصابعه مبتسمًا..

تُدعى غادة..

كانت صديقته بمرحلة الثانوية، رافقها لشهر، ثُمَّ اختفت من حياته..

نهض منتشيًا، وعقله يتذكر لحظة وداعه لها داخل مصنع قديم!

قررت منذ يومين تركه، والسفر مع والديها..

أخبرته ببساطة أنها راحلة، فدعاها للوداع..

وجاءت تودعه، وكان وداعًا أخيرًا!





وداعًا مميزًا له، باغتصابها، مرارًا وتكرارًا مع كتمه لفمها كي لا يخرج صوتها..

هل ظنّت أن ستتركه بهذه البساطة، تبتعد عنه، ودون امتلاكٍ منه لهذا الجسد البض!

وانتهى، وانتهت معه..

لَمْ يظن أن ستنتهي بتلك السرعة.. كان يظنها قوية، ولن يكون موتها سريعًا هكذا.. وهو الذي كان سيستمتع بها لأيام!

دفنها بذاك المصنع المهجور، وعاد لمدرسته، وكأن شيئًا لم يكن..

وعن غادة؟

قال من في القرية أن الفتاة هربت من أهلها لأنها لا تريد السفر..

وكانت هذه محطته الأولى!

نهض يتحرك، وصولاً لنقشته الثانية..

سيدة أربعينية.. تُدعى شيري





تعرف بها على شاطيء ساحلي بصيفٍ حار، كان قد وصل لعامه العشرين..

وكانت هي متصابية، تحب الشباب الصغار، وهو لا يهمه السن..

سمح لها بالقرب، وقضى معها الوقت، ومرت شهور الصيف، وأحضرته لمنزلها المستأجر من أجل وداعٍ أخير.. قبلة، وحضن، وهمسات لعوبة أنه الشاب الأوسم..

ثم وضعت بعض المال بيده، وهمت بالرحيل..

لتجد رقبتها تحاط بيده، وقبل أن تضحك بفجاجة، همس هو بأذنها:

- أنا لا أُترك عزيزتي..

وانتهى بها الحال مخنوقة بشقتها المستأجرة، والتي لَمْ يره أحدٌ يدخلها من قبل!





ظهرت نواجذه إثر ضحكته، واستكمل سيره قرب السور، وصولاً للنقشة الثالثة!

فتاة جميلة، تُدعى دنيا..

وكانت الدنيا له، عملا سويًا بمدينة أخرى، كانا محاسبين في شركة ما..

تقرَّب إليها، ورفضته منذ البداية.. فهي تركز بعملها وفقط! حد تركها لأسرتها بالريف، وسكنها بمفردها من أجله.

فاحترم رفضها وابتعد.. بل وترك العمل بأكمله، ورحل من المدينة..

ومرَّ عام.. انتهى فيه من التخطيط، وإبعاد كل دليل يجعل منه قيد الشبهات، وعاد إليها ثانيةً، بشقتها التي تسكن بها وحيدة، ذبحها بسكينه أثناء جلوسها على حاسبها لتعمل لساعات أكثر..

- يكفي عملاً عزيزتي، حان وقت النوم..

ومع الشهقة، تمَّ الذبح!





ضحك تلك المرة بصوتٍ مرتفع، مع وصوله لنهاية محطاته، ونقشته الأخيرة!

ولَمْ تكن سوى خديجة.. حبيبته!

لمس تفاصيلها، وهمس:

"

خديجة..

ضحيتي الرابعة..

أحيطك علمًا أنكِ مميزة لدي، ولذلك لَمْ أقتلك كالأخريات..

اكتفيتُ فقط بعلامات ستبقى بوجهك أبد الدهر، لتذكركِ بي دائمًا.

"

واكتفى اليوم بالجلوس مع نقشاته الأربع، وسار بطريقه يدلف لمبنى المشفى، يعود لفراشه، تقابله الممرضة بدوائه..

يأخذه منها بهدوء، ويتناوله أمام عينيها..





تبتسم له..

فيرد البسمة..

وينام بالفراش..

وبعد رحيلها، يخرج الحبة، ويلقيها من النافذة المجاورة.. ويدخل في سبات، وعقله يعمل:

يكفيني عام هنا، لأنفذ خطة هروبي بالغد.

تمت




قضية العدو الخفي

بقلم

بثينة عثمان





انبعاج طفيف في نهاية خط المسار المعدني منع دَرْفة الشبَّاك من تمام الانغلاق، مما أباح لخيط رفيع من هواء ديسمبر أن يتسلل إلى الداخل دون قيود تمنعه بينما الستارة الثقيلة على حالها منذ مدة تسكن الجانب الآخر، سرب من النمل راح يتحرك في خطوط منتظمة على الجدار حتى انتهى أسفله وقد وجد في فُتات الخبز الجاف غنيمة أجهز عليها دون انتظار، المكتب الخشبي شديد القتامة يتكدس بالأوراق المصورة، الملخصات الدراسية وصفوف الكتب غير المنتظمة، أناتومي، فسيولوجي، فارماكولوجي، يتوسطهم ثلاثة أقلام حبرية فرغ منها اثنان ملقاة على السطح المتسخ ببقع الشاي الجافة، من الجهة اليسرى للمكتب قبع صندوق ورقي كبير ضم عددًا من الكتب كذلك غير أن هذه ميزتها طبقة من الأتربة وسجادة الصلاة المطوية أعلاها، ناحية اليمين كان السرير الفردي، دثار الفراش محتلاً الوسط في بعثرة، الوسائد حملت رائحة عرق الجسد والبرودة في آن، الخف البيتي ساكن بثبات فوق بلاط





الأرضية يملأ فراغها بزرقته الداكنة والمنبه الصغير يكسر فرضية السكون..

تيك، تاك، توك

تيك، تاك، توك

الهاتف المحمول ظل لساعات يلح برنين أسفل الوسادة حتى فرغت بطاريته فسقط في صمت مديد، بينما هناك.. في الأعلى، حيث سقف الحجرة الصامتة، الباردة، كانت تتدلى الجثة مفارقةً للحياة منذ ثمان وأربعين ساعة.

**

نسمات الصباح تشارك الجميع التوتر المرهون بلحظة الحضور..

في تمام التاسعة صباحًا يعبر البوابة الضخمة بحضور فتتقيد الوجوه الشابة بالتحية العسكرية تقديرًا لهذا المرور المهيب، عادةً يبدأ يومه بعد قدح القهوة السوداء لكن سبق الخبر الساعي، اقتحم الضابط حجرة مكتبه بعد طرقة باب عجول:





- سيدي، واقعة انتحار..

استدار "عامر" يواجه الضابط الشاب وجبهته تتغضن لمَ يسمع وما يقول:

- جديدة؟!..

- مع الأسف.

أردف الضابط الشاب تاليًا:

- المعاون سيف ينتظرك في مكان الواقعة سيدي.

جذب "عامر" معطفه الثقيل المرتاح فوق ظهر المقعد قبل لحظات فقط وتحرك خارجًا ملقيًا بأوامره إلى الماثل أمامه:

- أبلغهم عن قدومي.

**

"أحمد محمد حسين"

"طالب بكلية الطب الفرقة الرابعة"





" تعود ملكية هذه الشقة لأبيه، يقيم بها وحيدًا بينما بقية العائلة تسكن بمحافظة المنيا"

"تلقى قسم المنطقة بلاغًا يخبر عن الواقعة مساء الأمس وقد أثار غيابه شكوك والديه مما دفعهما لمحادثة أصدقائه القلقين بشأنه أيضًا، حضر أقرب صديقين له وقاما بكسر باب الشقة بأمر من أبيه ليتقابلان معه على حدود العالم الآخر"

انتهى المعاون" سيف هلال" من سرد المعلومات التي توصل إليها على مفتش المباحث الموكل بالقضية و الحاضر بوجه متغضن القسمات، طالع" عامر" الجثة الشابة المتدلية من مِرْوَحة سقف الغرفة بعجز قبل أن يغض الطرف ويمرر يده فوق سطح المكتب، يأخذ عنه مسحة تراب، طالع الذرات العالقة فوق السبابة والوسطى متحدثًا إلى مجاوره الذي يتفحص المكان بدوره وسط عددٍ من رجال الشرطة المستقرين بالمكان كلاً يؤدي عمله كما ينبغي:

- هذه الواقعة رقم كم يا سيف؟





- السابعة سيدي.

التفت له يناظره بذهن متقد:

- خلال شهرين ونصف سبعة حوادث انتحار، ألا ترى الأمر مثيرًا للشك؟

- إذا قال عامر صقر هذا، فهو كذلك.

مرر بصره فوق صفوف الكتب العشوائية، كوب الشاي النصف فارغ، النعال الأزرق، الفراش المبعثر، مال بجذعه قليلاً إلى الأمام، يمعن النظر في الخرمشات الرقيقة التي صنعت نقشًا لحرف "A" بالحبر الجاف فوق لوحة السرير الخشبية، اعتدل ماسحًا بصره الغرفة لمرة أخيرة قبل أن ينتهي من الحديث بلهجة بدت تحمل في طياتها الكثير:

- عائلته أولاً ثم أصدقائه، أُريد سماع أقوال الجميع.

**





اتسعت معه فجوة الشك فور انتهاء سلسلة التحقيقات وتقرير الطبيب الشرعي الذي أثبت أنه انتحارًا وليس جريمة قتل كما كان الحال مع جميع ما سبق من حالات مشابهة في الآونة الأخيرة، احترق جوفه بنيكوتين سجائره، رغم تمدده داخل فراشه في هذا الوقت المتأخر من الليل كان عقله يعمل مثل طواحين الهواء، شاب في مقتبل العمر، يملك سيرة طيبة، وعلامات دراسية تشير إلى كونه نابغة منذ الطفولة، يعيش حياة ميسورة الحال تحت ظلال عائلة محبة، لديه من الأصدقاء والعلاقات ما يكفي ليشهد الجميع على قوة اتزانه حيث اشتهر بينهم بسدادة الرأي والحكمة والصلاح في جميع نواحي الحياة، ما الذي يدفعه لإنهاء حياته شنقًا؟!

خرجت أفكاره المبعثرة في هيئة سؤال ممطوط:

- ليلى..

همهمت زوجته التي تشاركه الفراش بجلوس وانشغال مع هاتفها النقال دون أن ترفع رأسها..





- برأيك ما الذي يدفع شاب جميع أموره مستقرة إلى حد كبير إلى الانتحار؟

رفعت رأسها عن الشاشة المضاءة، تنظر إليه بعينيها البنية الناعسة، تفتعل التفكير بنقرة إصبع أعلى الشفاه:

- ربما أهمل زوجته وانشغل عنها كثيرًا فاقتصت منه عدالة السماء؟

قطب جبينه في اعتراض غير منطوق، يدير الأمر إلى الجهة الأخرى الصحيحة:

- لنقل أنه طالب جامعي، لم يتزوج بعد.

- عساه قرأ المستقبل.

زوجته الليلة صارمة وتبيت النية لافتعال شجار، تراجع متسلحًا بالاستلام، هو غير مستعد في الوقت الراهن:

- إجابة نموذجية عزيزتي.





مالت إلى وجنته، قبلتها برقة وابتعدت تختتم حديثها مقلصة نيتها في نظرة عتاب وهمس خافت:

- ليلة سعيدة حبيبي.

طويلة..

كانت ليلته طويلة ومؤرقة.

**

"آنسة أحلام.."

أمام بوابة الجامعة ومن بين الخلائق المارة أوقفها نداؤه، فتاة عشرينية، في ملامحها الرقيقة آية حُسن لا تجذب النظر بل تسكنه بهدوء، عرفها بنفسه دون انتظار:

- عامر صقر، المحقق المسؤول عن قضية الطالب أحمد حسين، هل نتحدث قليلاً؟

راقب اتساع حدقتيها الطفيف وتلعثم أحرفها بينما نظراتها تتخبط فيما حولها:





- لماذا؟ ما.. ما شأني أنا سيدي!

نظراته الصامتة سقطت عليها للحظات أدركت من خلالها أنه يعرف عنها أكثر مما يجب..

- لنذهب إلى أقرب مقهى حتى نتكلم بأريحية.

سارت أمامه برأس منكس تضم بحقيبتها إلى صدرها بقوة تسبق خطواته دون تعقيب، جلس قبيلها طالبًا لنفسه قدح من القهوة ولها عصير البرتقال، أخرج سيجارة، أشعلها بحركات محفوظة، سحب منها عدة أنفاس قبل أن تسكن أصابعه لحين، طالعها لبرهة قصيرة شملها فيها بنظرة ثم خاض غمار الحديث من جوهره:

- متى بدأت علاقتكما؟

ثبت بصرها عليه لحين من الصمت، شعرت بحالها مقيدة فوق مقعدها دون قيود، ابتلعت غصة حلقها قبل أن تهمهم في خفوت بالكاد صار مسموعًا:





- منذ.. عامنا الأول.

نفض سيجاره مرتين قبل أن يتابع تحقيقه:

- كيف حدث ذلك؟

اكتنفها بعض الحرج، أن تسرد تلك التفاصيل شديدة الحميمية على رجل تلقاه لأول مرة، لكنه ليس أي رجل، حدثت نفسها، نظراته وحدها كانت تبث فيها خوفًا غير مفسر جعلها رهينة استجوابه الغير رسمي..

- كانت نظراته لي تبدي اهتمامًا خاصًا طيلة العام الأول، في بداية عامنا الثاني أوقفني مثلما فعلت وتحدث إلي، أخبرني أنه معجبًا بي ويريد التعرف أكثر، في البداية ظننته غير جاد يريد التسلية، لكن مع مرور الوقت أدركت أني مخطئة، مع نهاية العام كنا نتحدث على فترات..

ترك عقب سيجاره المنتهي داخل المرمدة بينما يتابع تفتيشه داخل دائرة الشك والتفاصيل:





- من يعرف عن علاقتكما؟

- فقط القليل من الأصدقاء المقربين وأختي.

- ثم ماذا؟ إلى أين تطور بكما الحال..

فاجئته نظراتها المرتعبة بتوتر مفضوح:

- لم يزد الأمر عن محادثات هاتفية وبعض المقابلات السريعة.. أُقسم لك!

ارتفع جانب فمه بنصف إبتسامة مطمئنة هدأت من روعها:

- أصدقك.

عدلت من حجابها الأسود دون حاجة، تفرك كفيها المتعرقين ببعضهما وتتجرأ على سؤاله بما يشغل عقلها:

- كيف.. كيف عرفت؟

ارتشف قهوته ببطء وهدوء وازى جوابه:

- كان علينا تفتيش هاتفه المحمول لمعرفة آخر متصل وبعض التفاصيل.





شعرت بموجة غباء تجتاحها بينما تغمغم و رأسها على حاله منكس:

- حسنًا.. فهمت.

مرت فسحة من الصمت قبل أن يعاود استكمال وصلة الاستجواب:

- هل كانت علاقتكما جيدة قبل الحادث؟

لم تأخذ وقتًا للتفكير، أجابت بسرعة:

- جدًا.. كانت جيدة طيلة الوقت.

تابع بذات السرعة:

- برأيك لماذا انتحر أحمد؟

عند ربط اسمه بالكلمة القاتلة رفعت بصرها، قابلته بعيون تحجر فيها الدمع وراح يتصدع بقولها المتهدج:

- لا أعرف سيدي ولا أصدق!

- لماذا؟





- لأن أحمد الذي عرفته و.. أحببته.. لا يفعلها.. مستحيل أن تهون عليه نفسه حتى يقتلها.. لا يفعلها أبدًا سيدي.

- لكنه فعل.

- أعرف لكني لا أصدق.

تنهدت تطلق أنفاسها الحبيسة، تُهدي قلبها فسحة بوح علها تهديء من نيرانه المضرمة تحت مظلة الصمت:

- كان شابًا طموحًا ومؤمنًا بالله لا يفوت صلاة، كان قدوة للزملاء، يساعد بمحبة حتى أحبه الجميع واعتبروه المنقذ، كان الحل دائمًا عند أحمد، يرشد الكل ويأخذ بأيديهم مثل إخوته، حتى عندما يكون مهمومًا لا يتأخر عن تقديم المساعدة، في كل الأوقات كما هو دائمًا أخًا حاضرًا.

شعر بأهمية الحديث، ترك القدح عن يده ومال مقطبًا جبينه في جدية:

- حدثيني عن طبيعة تلك الهموم رجاءً.





نظرت إلى جانبها، تستجلب خيط الحديث من قعر الذاكرة:

- كانت تزوره نوبات من القلق والاكتئاب مثل الجميع، لكن في الفترة الأخيرة أصبح أكثر ميلاً للصمت، خف حديثه، صار محبطًا وأكثر يئسًا عما عهدته، يتكلم عن المستقبل دائمًا بنبرة مظلمة وفاقدة لكل أمل، عندها أسأله عن سبب هذا الحال المتغير كان يصمت ثم يخبرني أنه حقًا لا يعلم.

حركت كتفيها وقسماتها تفيض بخيبة أمل:

- كان سيلتقي بوالدي نهاية هذا العام، يتقدم لخطبتي ونقيم حفلاً صغيرًا مقتصرًا على العائلتين، كنا سنتزوج عقب تخرجنا مباشرة.. هذا كان وعده واتفاقنا، لكن.. لكن لم يحدث شيء من هذا لأنه ببساطة قرر الرحيل!

أحاطتها نظراته بشفقة وقد قرأ جليسته مثل كتاب مفتوح..

الفتاة مازالت تحت طور الصدمة!

راكدة تحت تأثير البتر، بتر العشق والأحلام..





متهشمة أسفل ركام الصمت والحرمان.

**

انتهى اللقاء وبعد ثلاث وسبعين ساعة من البحث الدؤوب والعمل، كان عنده اليقين التام أن وراء الأمور الظاهرة خفايا عظيمة، وراء الخفايا كانت تقبع الحقيقة..

الطالب أحمد محمد حسين لم ينتحر؛ بل قُتل عمدًا مع سبق الإصرار والترصد.

**

مثل حبات العقد تجمعت واحدة وراء أخرى حتى استحكمت الحلقة تامة بين يديه، أراد أن يفرط عقد الحقيقة تحت أنظار الجميع، قضيته هذه المرة ليست كسابقة ولا يظن أن تواليها شبيهة، قضية يجب أن توضع نصاب أعين الجميع لذا أمر باجتماع عاجل لمرؤوسيه وآخرين من الضباط الزملاء، يتحلقون حول الطاولة البيضاوية الضخمة بينما هو يحتل





الصدر من خلفه تقبع شاشة عرض جهز عليها أدلة تبرهن صدق أقواله.

تكلم رئيسه محتجًا على إصراره في أمر منتهي دون حاجة جدال:

- واقعة انتحار قال الطب الشرعي كلمته فيها بالثبوت والدليل، كيف تطعن فيها؟

أيده آخر:

- ماذا دهاك يا عامر، هل فرغت القضايا حتى تشغل بالك و وقتك بقضية منتهية.

ارتكز "عامر" بكلا كفيه فوق سطح الطاولة مائلاً بجذعه ناحيتهم في جدية كلمات:

- ليست منتهية سيدي، بل هي مجرد بداية لشيء شديد الخطورة.

- تتحدث بالألغاز عامر..

- اسمح لي أن أبدأ الحديث..





ابتعد عن الطاولة بمقدار أتاح للجميع الرؤية والإصغاء:

- ما دفعني للشك أولاً؛ تكرار الواقعة خلال وقت قصير..

رفع إصبع ثانٍ ومجموعة صور للطالب المنتحر تحتل شاشة العرض من خلفه بتتابع:

-ثانياً؛ خلفية الضحية، لم أجد أي مبرر يدفعه للقيام بهذا الجرم الشنيع، كان هناك تضاد رهيب بين الضحية والفعل، من هنا كان خيط البداية..

احتدمت نظراته مردفًا بتوضيح أكبر:

- بعد أخذ أقوال الجميع والتفتيش في قاعدة بيانات المعني توصلنا إلى الآتي؛ تم دفع الطالب نحو الانتحار وفق خطة ممنهجة، قد تكون بدأت من سنين، ما نتحدث عنه الآن هو موسم الحصاد..

تابع للحظات الأعين المرتكزة عليه بانتباه مشدود قبل أن يتابع بإيضاح شاف:





- شاب طموح، نابغة ينبأ عن مستقبل مبهر، بفضل التكنولوجيا الحديثة تمت قراءة نقاط ضعفه بسهولة تامة، كان أحمد مؤمنًا إيمانًا كاملاً بالغد، هذا بالضبط ما عملوا على خرابه، تم تشويه الغد والمستقبل بشكل تدريجي حتى فقد إيمانه يوم بعد يوم، بعدها أصبحت نفسه المتصدعة جاهزة لعبور الآفات، نجحوا في تمكين اليأس بداخله فهوى من قمة القوة إلى سفح الضعف..

تتابعت من ورائه عدة صور لطلاب آخرين في عداد ضحايا سابقين:

- بعد التعاون مع جهاز الإتصالات وقراءة قاعدة البيانات الخاصة بالضحايا الآخرين توصلنا إلى نتائج متطابقة، وجدنا بيانات البحث الخاصة بوسائل التواصل الاجتماعي تبرز لهم نفس المحتوى، يعجبون بنفس الصفحات ويتابعون ذات الأشخاص، هناك تشابه كبير في منشوراتهم خاصة تلك التي تم





مشاركتها من صفحات معينة، وهذا كله ليس من قبيل المصادفة..

أشار بيده نحو الشاشة قائلاً:

- الشابة التي ترونها أمامكم هي غادة عبدالسلام، طبيبة مصرية حاصلة على جائزة دولية لأفضل مشروع بحثي، انفصلت بعد عشرة أعوام عن زوجها عقب فضيحة خيانة، لم ينجح وجود طفلين في التصدي للأفكار الشيطانية التي تم زرعها بعناية في لاوعيها حتى تصدق بيقين تام أنها امرأة دميمة تستحق الخيانة وتستحق النيران التي التهمت وجهها وجسدها..

تابع بمثال آخر:

- وائل ناصر، معلم لغة عربية مخضرم وضحية جديدة، تم استخدام وضعه المادي الصعب كسلاح ضده حتى قرر إنهاء حياته..

-الضحية الثالثة عمرها ثمانية عشر تعاني من إعاقة في القدم، كانت تلك نقطة ضعفها التي قتلتها، لم تستطع مقاومة التنمر




في بيئتها المغلقة رغم تحقيقها لمعدلات فائقة في سنتها الثانوية، ألقت بحالها من الطابق التاسع..

ترابط كلماته مع اللقطات المتتابعة من ورائه كان شديد المتانة، هؤلاء الشباب أصبحوا سجناء مواقع التواصل التي يقودها أيدي خفية صنعت منهم آخرين، مثل فئران التجارب سقطوا واحدًا خلف آخر..

توقف "عامر" عن المواصلة لثوانٍ، أعقب بعدها:

- نحن نقف أمام عدوٍ مجهول، شديد الخطورة، ينتقي خيرة شبابنا ويقضي عليهم بأيديهم بعد أن يزرع فيهم الوهم والضلال، آمالهم كبيرة، مسعاهم هو تحويلنا إلى أمة ضعف وهزال، مجرد خرقة بالية في قبضة القوة الغاشمة.

تعالت الهمهمات وتفرقت حتى تمركزت في قول واحد:

- كيف لنا أن نتصدى لعدو مجهول، متخفي!

وهو لا يعرف سلاحًا غيره في هاته اللحظة الراهنة:





- بالوعي، علينا أن نتسلح باليقظة والوعي.

**

عودة متأخرة مثل أغلبية أيامه، دلف إلى حجرة ولديه، ترك الضوء الشاحب على حاله واقترب مقبلاً وجنة ابنته أولاً، انتقل إلى ابنه، مسح فوق رأسه وجسده المرهق يرتخي بجلوس إلى جواره، بصره متربص بأجهزتهم الذكية الساكنة فوق المنضده المتوسطة السريرين، يطالع الجهازين ورعب خفي يجتاحه، هل يكسر تلك اللعنة ويوفر لهما الحماية، يوفر لهما الحماية ويحرمهما العالم، العالم الذي أصبح منطوي داخل بضعة بيانات رقمية يُحركها أجهزة لا عقل لها!..

شعر بيديها تحيطان خصره من الخلف ورأسها يرتاح قرب كتفه، تهمس له بخفوت لا يقلق نومة الصغيرين:

- تأخرت الليلة..

همهم بخفوت مماثل:




- نعم، مثل العادة..

لم تعلق اكتفت بمسح كتفه بحركة هادئة فخرجت لها غمغمته الخافتة:

- هل الصغيران بخير ليلى؟

استشعرت القلق بين ثنايا أحرفه، فزادت من ضغط يدها الحانية:

- بخير حبيبي، اطمئن.

دنت منه أكثر حتى تلاقت وجنته بدفء أنفاسها:

- هل أنت جائع؟

التف لها برأسه المشوش يجيب من بين تماوج الصحو والنعاس:

- لا أدري.

ضمت كفها وجنته برفق وقسماته المرهقة تتندى بوضوح:

- تبدو متعبًا..





- جدًا.

نهضت عن جلوسها..

- تعال معي.

تأخذ بيده، تسحبه إلى عالمها الذي فيه مأوى راحته.

**

"لا عذر للمنتحر في انتحاره مهما امتلأ قلبه بالهمّ ونفسه بالأسى، ومهما ألَمَّت به كوارث الدهر، وأزِمَت به أزمات العيش، فإنّ ما قَدِم عليه أشدُّ ممّا فرّ منه، وما خسره أضعافُ ما كسبه"

- مصطفى لطفي المنفلوطي.

**

تمت





قضية قُدَّاس الموت

بقلم

تسنيم أسامة




لكل منفعة -هادفة كانت أم محض تسلية- وجهٌ آخر نجهله!

قد نُدمر بها أحدهم أو نستحوذ عليه إن شئنا، وقد نقتله في عقر داره بها

بل.. نُسبب لها في خلق قاموسٍ خاص.. نرسم فيه بأحقاد الغل الحكاية ثم ننحر حرفها الأخير.

**

حفلٌ موسيقيّ بإيقاعاتٍ كلاسيكية عالمية في دار الأوبرا المصرية, احتفال ضخم بمرور خمسة وثلاثين عامًا على افتتاحها، آلات تتناغم في أوكتافها نوتات عتيقة المكمن..

جمهور ترك روحه بين يدي ألحان لا تتوقف عن بث متعتها فيه، تصفيق يتلو تصفيق مع إشادة السفير كضيف شرف لتلك الليلة..

وعازف أخذ على عاتقه عزف قداس الموت منفرد فيغوص في أعناق سُلمه ويتلقف ما يريد إيصاله





نوتة!

عِدة نوتات تتابع بصدى رجفة!

وسُلمٌ موسيقيّ كُسر في منتصف بدايته..

نوتة.. انفجار!

**

حادث إرهابي و قضية رأي عام يتناقلها الاعلام الوطني و العالمي، يُشرف على التحقيق فيها الدولة مباشرةً

و يُتابع رصد مضمونها الصحافة فيتصاعد الخبر أكثر، فلقطات اللحظات الأخيرة قد سُجلت كبث مباشر للعامة..

و لا سيما أن السفير أفصح أنه وردته رسالة تهديد قبل الحفل و مع البحث وُجد الهاتف بشريحته دون بصمات،

و المجرم هو .. شادي أبو الوفا عازف البيانو الذي فُجر!







كان يُتابع ما يحدث من وراء حجاب دون تدخل، يرى كافة التحركات بعد أن جاءت نتيجة العثور على قنبلة أخرى مدفونة بين الأماكن صفر!، يقف على المسرح الذي أُشتعل قبل ساعة و يسير رويدًا فوق خرابه إلى مكان جلوس السفير، يُلقي بنظرة سريعة على القاعة و عينيه لا تبرح مكان جثة الإرهابي كما دعاه البعض.

عُزفت قداس الموت هنا.. لكن أي قداس أراد شادي قوله من خلالها؟

**

أُغلقت القضية جنائيًا - بشكل مؤقت - دون دفاع من جهة محامي شادي، و لتهدئة الأمن العام عُوقب كل القائمين على الحفل، امتنع فريق العزف عن مزاولة شغفهم، و طُرد مدير دار الأوبرا.

عاد إلى منزله و دلف لغرفة مكتبه.

- تلك ليست قضية إرهابية!





أغلق الملف بقوة على مكتبه و هو يُردد جملته، يقف حائرًا يسترجع ما قيل،

مُفتاح حل المسمى و تعقيده بيد الذي حلق جسده برماد!

كانت زوجته ليلى تسمع ما يُردده فتدخلت بحكمة واقعية تراها..

- القضية سياسية و السفير هو ضحية اغتيالها، أعين العالم كانت تُتابع أيضًا

فتح نافذة الغرفة.. الظلام أمامه يُشبه حدقة عينيه، بينما تضع فنجان القهوة خلفه و تسرد كمحققة بارعة

- لقد اختار التوقيت المناسب لتفجيرها، استطاع الولوج بها مُسبقًا ووضعها في آلة عزفه، التدريبات على الحفل أكملت أسبوعًا كما علمت من التلفاز.. كان معه كل الوقت للتخطيط عامر.

- و رغم هذا.. لم يمت السفير!





أخرج مخطوطًا لأماكن الجلوس في قاعة الأوبرا و حجوزات المقصورات لأهم الشخصيات، وضع علامة على المسرح كمكان وضع القنبلة و انفجارها ثم بتتابع مع سجل أسماء الضيوف و أماكنهم و ضع علامات عِدة في جميع الاتجاهات

- المسافة الواقعة بين المسرح و مقعد السفير لا تقتله البتة!، إن كان سيفعل الانفجار لما لم ينتظر صعوده على المسرح؟

علمت أنه لن يكف عن ملاحقة الأمر فتركت له قُرصًا مُسجلاً

- قمت بتسجيل الحفل لأني أعلم حُبك للموسيقى الكلاسيكية.. أدركت أنك ستفوت مشاهدتها

استقام يهرع إليها يطبع قُبلة فوق جبينها بامتنان

- آسف ليلى..

ربتت على وجنته و مر كفها على رأسه كأنما تمسح عنه تعبه

- لا عليك عزيزي





ثم رحلت و تركته في غمار تساؤلاته، تناول القرص و وضعه.. شاهد آخر مقطع منه، عزف شادي المنفرد على المسرح

اختيار قداس الموت لختام الحفل.. و الانفجار دون خاتمة السُلم..

أعاد المشاهدة و الاستماع حتى لاحظ شيئًا مختلفًا، بحث في الأخبار عن المقطع ذاته مصور من الجهة الأخرى حتى يرى ملامحه، تابع مجددًا.. مال رأس شادي لمفاتيح البيانو لثانية كأنه يستمع و أعاد عزف النوتة التصاعدية للمقطوعة مرتين!

حدث فيها خلل واضح لمن يحفظ تلك المعزوفة جيدًا، قص المقطع و كرر وضعه على برنامج آخر..

أخذ الصوت وترك الفيديو المُصور فارغًا، تابع وتيرة العزف على برنامج صوتي.. هدّأ منها و استمع..

نوتة في ثانية واحدة أُعيد عزفها مرتين و صوت أخل بالوتيرة الطبيعية لسير الصوت..




تشويش ليس بضاهٍ على العزف، كأنه جزء من النوتة.. هو صوت رنين القنبلة و انفجار يتبعه!

أراح جسده على المقعد.. و بردت القهوة.

**

في اليوم التالي من غلق القضية كان تقدم بطلب فتحها مرة أخرى والتحقيق مع المشتبه فيهم بسرية حتى لا يُبعثر الوسط..

دلف سيف إلى مكتب رئيسه عامر يُخبره أن من كانوا على المسرح قبل بداية الحفل في الخارج، وزوجته أيضًا

- هل تسمح لي بسؤال؟

كان عامر يقرأ أوراق تضُم في نتائجها رسائل و مكالمات شادي الأخيرة عبر هاتفه، أومأ له بلا انتباه فتابع سيف قائلاً

- ما الضمان فيما تقول عن براءته؟





رفع رأسه إليه بغتة و ألقى الورق مع عِدة صور ورسالة، فند المحتوى بنتيجة واحدة

- قبل بداية العرض بثلاث دقائق وردته رسالة من مايسترو في أوركسترا فرنسية.. دعوة للعمل معه و السفر ليكون عازف البيانو فيها.

و أشار عامر بإصبعه إلى رسالة بعثها لزوجته

- و بعدها أرسل فيها ما يقول: " لقد تحقق حلمنا عزيزتي، سنسافر إلى باريس بصحبة ابنتنا نيللي و سأعزف في الأوركسترا المشهورة! "

و قامت بالرد " لنحتفل إذًا ".

تساءل سيف بعدم فهم لما يرمي إليه

- ماذا يعني هذا؟

وقف عامر يُعدل ربطة عنقه حاملاً أوراق القضية معه

- لنذهب و نكتشف الأمر!





**

في غرفة التحقيقات.. طاولة و عِدة مقاعد، وحقيقة!

دلفت الأولى زوجة الجاني.. نور هشام، تبلغ من العمر أربعين عامًا مثل زوجها الراحل، مصممة أزياء.. يُغطيها الأسود حتى رجليها أما الحزن فلم يعرف السبيل لعينيها

جلست و مكثت معها الحقيقة الأولى التي قام بالبحث عنها.

- سيدة نور.. لما اخترتِ المقصورة بديلاً عن المقاعد الأولى إن كان زوجك هو نجم الليلة المنفرد؟

لم تتغير هالتها مع ثُقب عين عامر و سؤاله بل أجابت بدهاء

- لا أحبذ الجموع و هو يعلم ذلك، لذا قام بالحجز لي في مقصورة خاصة.

أخذ مخطوطًا كان بجوار سيف ثم وضعه أمامها في تساؤل متعجب

- و تلك المقصورة في نهاية القاعة بعيدة عن المسرح!





شعرت أنها متهمة فسارعت بنفض الغبار عنها

- إن كنت ستسأل هل لي علم بما كان يُخططه شادي فإجابتي هي لا.

ابتسم و أراح يديه عن الطاولة ثم ألقى سؤاله الأخير

- ما الذي كان يُخططه شادي يا سيدة نور؟ أعني أي خطة كانت هي؟

و بكفه الأيمن أظهر صورة عائلية مع رسالة الدعوة الأخيرة و أشار

- هل تقصدين تلك الخطط؟ أم..

و أشار لكفه الأيسر صورة انفجار ملتقطة من المُسجل، حينها شعر بالتيه بين عينيها.. أختل ثباتها و ترددت في الإجابة، فجاوزها بتفنيد آخر..

- أم كنتِ على علمٍ بوجودها؟

و بلا تخطيط مُسبق لعقلها أجابت





- إن كنتُ أعلم بها مُسبقًا كنت قتلته بالفعل!

- هل نتحدث عن القنبلة الآن أم عن تلك الفتاة التي في الصورة سيدة نور؟

فزعت حينما عرض عليها صورة زوجها في وضع مخل مع فتاة أخرى، لم تكن تدري أن الصور قد سُربت مع محاولاتها للتغطية عليه..

سرعان ما هدأت أنفاسها و عاد وجهها لجموده، بعملية أجابت

- لا.. أتحدث عن القنبلة سيدي، بالطبع لم أكن سأسمح له بأن يفعلها!

رفع إحدى حاجبيه في تساؤل أجادت الإجابة عنه بهدوء مُغلف باستفزازه

- أما عن تلك.. فهى نزوة لم أكن أعلم بها قبلاً إلا في وقت لاحق مع تلك الصورة و انتهى الأمر بتصالحنا وتركه لها.




لا ينفك نظر عامر على تتابع تعابيرها المتناقضة مع حديثها الواثق فسأل

- و هي؟

أراحت جسدها بثقة على مقعدها و أجابت

- سافرت أمريكا و استقرت هناك.. لم أكن سأسمح أيضًا بمكوثها هنا!، لذلك محوت تلك الصورة حين نزولها له و لم أدري أن هناك من أعطاك إياها سيدي.

**

الساعة الواحدة ظهرًا مع دخول المشتبه فيه الثاني..

عمر قاسم.. مايسترو الفرقة الموسيقية و المسؤول عن توزيع الألحان بين العازفين.. أب أرمل لطفلين، جاد المظهر و الحزن بين فراغات جفنيه يروي حكاية تقربه من العازف الجاني، جلس أمام عامر بتحفز لاحظه سيف فبدى الشك يُحاوطه حتى سأل.





- هل كنت تعلم مُسبقًا باختيار شادي لعزف قداس الموت كختام للحفل؟

ضم قبضتيه أمام عينيهما فبات التوتر هو سائد إجابته

- لا علم لي بأنه سيعزفها مُسبقًا، فوجئت حينها لكنه أخبرني أن..

توجل عامر في السؤال سريعًا

- أخبرك؟ متى؟

يُلاحقه عامر، فتترنح أفكار عمر بين الإخفاء و الحقيقة

- قبل العرض كان يعلم بل الجميع يعلم أنه سيعزف بشكل منفرد معزوفة ختامية تليق بالاحتفال و حينما علمت أنه سيعزفها جاهدت لإيقافه

تسائل عامر بنهم لحصوله على تفاصيل أكثر

- لما؟

أجاب عمر بسياسة موسيقية مُتبعة في جدوله





- المقطوعة إن كنت عازفًا ستعرف أن نوتاتها تصاعدية.. غامضة بل عالية تروي قداس موت لا تُناسب الحفل و متوسط نوتات بقية المقطوعات الهادئة و الحافلة ببهجة التي تدربنا عليها منذ شهر و كان منها أسبوع في الأوبرا كما تعلم سيدي.

فكر عامر قليلاً.. ثم ألقى سؤال آخر..

- كان يعلم أنك ستوافق كأمر واقع!، لماذا هى.. ألم يُخبرك؟

بدا على وجهه الغضب و الاستياء كأنما يلوم نفسه و كأنه جزء من الحكاية وفي آن يتحفز ضد الذي أمامه

- أراد أن تكون تحدٍ له، حتى أنه أخل بالنوتات و كرر مقطعًا منها، و أيضًا كان سيشكر شخصًا ما لا أدري.

لمعت عينا عامر كأنما حصل على إثبات ملاحظته، أنه رغم كون مدرج القطعة الموسيقية أمامه أخفق.

- في وقت التدريبات لم تُلاحظ بوضعه القنبلة في الآلة؟





كان يُفكر.. دقائق من التذكر، كأن صديقه يستطيع فعلها.. كأنه لا يعرفه حتى جاءت منه " لا " تنفي عنه الأمر.

**

الساعة الثالثة عصرًا و المشتبه فيه الأخير..

أحضر سيف كوبًا من القهوة بينما عامر مُغلق العينين كأنما يُريحهما من حرب أفكار لا تتوقف فأردف مُعاونه بسؤال متعجب

- سيدي ألن نحقق مع بقية الأوركسترا؟

و على وضعيته دون تغير أجاب عامر

- لا.. يكفي أننا نعلم مكان وجودهم حين وقوع الحادث وقبله.

- لكن..

ثم فتح عينيه مع دخول خالد وهران.. مدير الأوركسترا و المنظم لها بحفلاتها، هيئته كلاسيكية و غنية أيضًا، لم يتزوج بعد رغم





تخطيه حاجز الخامسة والأربعين، بمراقبة سريعة لحركات جسده لاحظ شيئًا و سكت عنه.

- أخبرني سيد خالد.. هل فُحصت الآلات قبل العرض كما العادة؟

كان يُربط على كفه وكأنه يُمسك شيئًا أو يُخفيه فأردف:

- بالطبع!.. كل آلة فُحصت إلا آلة البيانو

ثم أكمل بسخرية جعلت كفيه يتحرران عن قبضتهما

- لم يكن يسمح لنا مُطلقًا بلمس الآلة وحتى أنه لم يكن مهتمًا بها كعازف!

تعجب عامر من التفاصيل فسأل عن أصلها

- كيف؟

تراجع بصره عن مضمار عين عامر وترنح قليلاً في مجلسه، لاحظ أن كفيه بهما رعشة طفيفة توقفا في الحال بلا عودة.





- أعني أنه مهووس بالعزف عليها فقط ولا يسمح لأحد بمراجعة نواقصها أو معرفة إن كانت المفاتيح تعمل و الأصوات جيدة دون غبار.. يُحب أن يقوم بعمله بمفرده لكنه لا يفعل بل يتركها لأجل عزفه وحسب.

همهم عامر بكلماتٍ لم يستمع سيف لها، ثم أردف بسؤالٍ معتاد

- لما اختار شادي أبو الوفا عزف تلك المقطوعة في احتفالية أوبرا مع وجود سفير؟

و بروتينية ساخرة أجاب سؤاله

- أليس واضحًا؟.. كان يُخطط أن تكون نهايته أيقونية كما دخوله لعالم العزف أيضًا

- أي أنه ليس ارهابياً قصد اغتيال السفير بل انتحاريًا و اختار لموته شكل ما سيد خالد؟!

مسح وجهه و تنهد واضعًا كفيه على الطاولة بينما يُجيب





- لا أعلم.. كل ما أعرفه أن بسبب الحادث ذاك قد خسرت الكثير من الدعوات و الأموال.

ضم عامر كفيه و أراح ذقنه عليهما، واجهه بفضول صريح:

- أي أنك لم تكن تعلم مُسبقًا باختياره لها؟

نفى بصمت.. فأكمل بالفضول ذاته دون مواربة له

- و كيف هو شكل دخوله لعالم العزف سيد خالد؟

مرت دقيقة على تذكره.. لم يُلاحظ عامر تغيرات وجهه لأنه كان ثابتًا بجمود، شعر بهالة ألم فقط من خلالها

- كان ذكي يُجيد العزف على عِدة آلات، لم يتوقف البتة عن التعلم وحين اختبارنا له كان يأخذ أماكن زملائه في العزف إن وقع آخر.. رغم خطأه في عزف القداس!

ضم عامر شفتيه و لم يُسقط نظره على لغة جسده فباغته:

- كيف كانت العلاقة بينكما؟

- كعلاقتك بالذي بجوارك تمامًا..





كاد سيتحرك سيف فأوقفه سؤال عامر الأخير:

- كيف هى علاقتك مع العزف سيد خالد؟

بدت خيبة الأمل كغمامة على وجهه بينما يُجيبه

- سيئة.. إن كان بإمكان جسدي هذا العزف لفعلت..

و حين استقام للرحيل لاحظ تفاصيل أكثر في حركات جسده، لكنه باغته مجددًا بسؤال مختلف

- سيد خالد.. أين كنت حين وقع الانفجار؟

إلتف خالد له في ثقة و أجاب

- في المقصورة بجوار مدير دار الأوبرا..

ثم رحل..

**

احتار معاونه سيف في كيفية مرور آخر استجواب، راقبه قليلاً ثم سأل بترقب:





- لماذا لم تسأل كما فعلت مع السيدة نور؟ عن اختيار سيد خالد للمقصورة البعيدة تلك عن مرمى الانفجار عامر؟ أعني أنا لن أتدخل في عملك لكن..

وقف عامر أمام حائط مليئ باستنتاجات و صور عِدة ودون إلتفات أوضح:

- هناك أسئلة كثيرة تركتها، لكن لم أدعها جهلاً بل لمعرفتي إجابتها مُسبقًا منهم

استفسر سيف بسؤالٍ آخر حتى يفهم

- سؤالك عن النوتات والمقطوعة التي لا تُناسب الحفل، أعني أن كل موسيقى لها صدى قوي أيضًا و إن كانت احتفالية!

وضع عامر أمام سيف كل ما جمعه من الحفل، من معاودة عزف النوتة و صوت الرنين الأخير وصولاً لنظرات شادي الختامية قبل الانفجار.

فعارض مُساعده ما توصل إليه برزانة هادئة:





- تكراره لعزف تلك النوتة الأخيرة دليل على علمه بوجود قنبلة وخشى أن يُسمع رنينها قبل الانفجار!

- بل تكراره كان للتأكيد مما سمعه وهذا ما أظهره المقطع، تلك نظرات شخص أصابه الهلع بل خوف جلي قبيل لحظات موته.. إن كان هو من خطط لذلك فأنسب توقيت للانفجار كان في العزف الجماعي أو حين صعود السفير لديهم للتحية.. لم يكن سيُكشف بل وسيُحقق ما أراده..

جلس سريعًا يتفحص حاسوبه ويظهر مقطعًا مشابهًا لما يرمي إليه ثم عكس وجهة الحاسوب لصديقه المساعد..

- هذا شخص انتحاري قام بتفجير نفسه وسط العامة في منطقة نشطة سياحيًا لضرب الدولة من خلالها..

نظر إليه كان مسالمًا، مؤمنًا بما يفعل بل يريد انجازه.. ذكي في توقيت هدفه واستراتيجية موقعه.

- لماذا إذًا؟ لما وضع القنبلة في آلة العزف رغم أن لديه أكثر من موقع لإصابة السفير في مقتل؟!





تذوق عامر من قهوته و استقام يُملي عليه جزء من الخطة

- من وضع المتفجرات في الآلة كان يعلم أن شادي لن يتفحصها.. كان على مقربة منه و يعلم باختياره لتلك المعزوفة حتى يتوافق توقيتها و النيل منه في عزفه المنفرد لا السفير سيف، و تلك تفاصيل تُقيد دائرة المشتبه فيهم.

تقدم سيف منه واضعًا أمام عينيه فكرة أخرى تجول في رأسه

- تقابلها فرضية أخرى!، ربما كان يعلم لذلك منع الصيانة من الفحص الأخير!

ابتسم عامر واضعًا كلتا كفيه في جيب سرواله

- هذا إن كان شادي مهتمًا حقًا بالآلة

أمسك ملف الشهود و أخرج جملة يتلوها ببطئ

- " لم يكن يسمح لنا مُطلقًا بلمس الآلة و حتى أنه لم يكن مهتمًا بها كعازف!"





أمسك عامر هاتفه و أرسل بضعة رسائل و حصل على اتصال ما، فسأله سيف في فضول

- سيد عامر؟!

- دعنا نُقامر قليلاً لنقول مات الملك أخيرًا!

**

لابد من وجود ثغرة ما، إما أن يُوجدها الجاني أو يعود إليها فيضع الخلل في محله و يُكشف..

الكلمات تحمل رنين مميز، لحن عذب يخترق الجوف بلا هوادة،

أحدهم كاذب و يعلم.. أحدهم أخفى ما أراد.

خطوات تدلف لمكان هو صاحبه.. يحتوي الكثير من الأدوات الكيميائية و بيانو في الجوار.. يجلس على مقعده و يتلمسها بأصابعه،

بدأ بعزف المقطوعة بيُسر.. بل ببراعة، و حينما انتهى سمع تصفيقًا.. شخصًا راقب المشهد منذ بداية النوتة الأولى..





- لم أكن أعلم أن جسدك استطاع أخيرًا العزف.. سيد خالد!

إلتف سريعًا بوجل، قام فزعًا بحركة غير محسوبة فتألم

- حسبُك خالد تمهل قليلاً!

- ألم ينتهي التحقيق بعد سيد عامر؟.. أخبرنا مُعاونك سيف بغلق القضية ضد شادي!

تجول بلا توقف و بنظرة خاطفة حول المكان المُنظم و أدواته التقطت عينيه البيانو العتيق، سار إليه ثم فوق فهوته وضع يده اليُسرى و وجهه يُقابل الذي أمامه، غاص في أعماق البيانو و أوتاره ثم التقطه

- وجدته!

كان بحوزته مُفعل القنبلة عن بُعد لم يتخلص منه بعد التفجير, كان عامر يُقامر على نيله و قد حدث

- لنرتب الأوراق مُجددًا سيد خالد.. مهندس كيميائي أي أن صنع قنبلة كتلك سهلٌ عليك.




اقترب منه بغتة و بعينٍ ثاقبة وجس منه الآخر فتلى عليه

- لا أحبذ المعلومات السطحية..

ابتعد عنه و طمأنه بالقرار الأخير..

- القضية أُغلقت بالفعل سيد خالد.. أنا هنا لأروي حكاية أخرى.

أخذ مقعد بالجوار و توسط المكان، أشعل تبغًا و أخذ بالسرد

- رعشة أطرافك التي وصلت إلى قدميك.. طريقة جلوسك الغير متزنة، حادث سابق منذ خمس سنوات كنتَ تقود سيارتك بصحبة شادي أبو الوفا للتخلص منه لكن القدر كان حليفه..

نفث التبغ بدخانه و استمع لسؤاله

- و لماذا أتخلص منه في هذا الحادث؟

ابتسم بيقينٍ أنه يسير كما توصل لنتيجته





- نور هشام.. حبيبتك السابقة و زوجة صديقك الخائن الذي سحب منك كرسي العزف على البيانو..

ضحك بهوسٍ و حرك يده ليُكمل الآخر في سرده

- كيف علمت إذًا أن شادي أعاد عزف المقطوعة الأخيرة مرتين؟ ذلك أمر يحتاج لأذن موسيقية متدربة سيد خالد، بل عازف ماهر استطاع الليلة عزفها دون ذلك الخلل.

انتظر منه رد فعل ولم يجد، لم يُلقِ بالاً فيما يُفكر هو هنا ليضع الحجر الأخير في الرقعة و ينتهي

- لم تكن تعلم مسبقًا باختياره قداس الموت كمعزوفة أخيرة أجل، لكن أخبرتك زوجته حينها.. عفوًا أنت من أوقعت بها حينما جاءتك تشكي همًا بخيانته لها!

و هنا أخرج تسجيل صوتي من اتصاله بها تُقر فيه أن آخر من قابلته قبل بداية العرض كان هو و ما قيل بعدها من إيقاعه لها و خوفها من أن يؤثر ذلك على عزف شادي للمقطوعة الذي





أرادها، شكواها لخيانته المستمرة لها منذ عام مع فتاة ليل و رحيلها لأمريكا.

انتظر رد فعل فلم يجد سوى الصمت المنزوي بغضب استشعره من هالته فأكمل:

- كان من الممكن أن تنتهي التدريبات قبل أسبوع و بالأخص أن الأوركسترا كانت مستعدة بالفعل قبل شهر، لكنك أردت الاقتراب من المسرح أكثر لدراسة خطتك، من السهل عليك الدخول ببضع أجزاء من القنبلة لتقوم بتكوينها.

كان عامر كمن يضع قطع البازل في قسماتها الفارغة، و كان خالد مستمع جيد يُبرهن بدهاء على عدم مناسبتها بقوله

- جيد و كيف إذًا أن أضع قنبلة داخل البيانو دون أن يُلاحظني أحد؟!

- صداقتك لمدير دار الأوبرا هى مُفتاح حل اللغز.. قبل أن آتي كان معي تقريرًا يُفيد بأنه قد طُلب من مسؤولي المراقبة إيقاف





آلات التصوير على المسرح حتى لا تُكشف مفاجآت العزف عليهم.. و تركت اسم شادي وبضع وريقات.

خرجت من خالد همهمة ساخرة مع تباعد كفيه في الهواء بسؤال متعجب

- لِمَ لم يدافع عنه أحد حينها إن كان أنا من طلب منهم ذلك؟

كان يبدو على عامر أنه كره لعبة الفِرار، لكنه واصل في مسايرته و إزاحة الثغرات بأدلة:

- قضية عالمية.. رأي عام.. سياسة و إرهاب في دار الأوبرا و متفجر مع سفير.. لن يُخالف أحد التيار فكل الأدلة نُصبت أمامهم أنه هو، تلك حركة ذكية أيضًا

حاول الاستقامة من مجلسه لكن أوقفه عامر بيده و أكمل:

- دعني أكمل خطتك في جعل الأمر يبدو تهديدًا للسفير، أخذت هاتفًا و قفازًا مع شريحة سُجلت باسم شادي أبو الوفا حينما اتفقت مع لاريا الفتاة التي كانت بجواره في ليلة حميمية





على سحب حافظته من جيبه و أتتك بالبطاقة، أنهيتَ ما أردت و جعلتها تُعيدها ببساطة، انتظرت الوقت المناسب و أرسلتها من مكان مهجور.

شعر الذي أمامه بالملل فكانت تنهيدة واحدة كافية بسقوطه فأردف:

- تلك حكاية خيالية سيدي، كيف أعرف لاريا و قد سافرت أمريكا منذ شهر؟

و على عُجالة استفهم عامر بثقة يُلاحقه:

- لكن نور لم تُخبرك أنها سافرت منذ شهر ولم تخبرنا بذلك في التحقيق سيد خالد! كيف علمت؟

تجمد من فخه فهى لم تُخبره بالفعل، واصل عامر في نفث آخر دخانٍ للتبغ و معه ما تبقى من حديث.





- كنتَ تنتظر العزف المنفرد بل النوتات الصارخة التصاعدية لمدرج السُلم في المقطوعة لتفعيل رنين القنبلة الأخير حتى لا يُلاحظه شادي و يبقى جزءًا من النوتات للجميع.

ابتعد عامر خطوتين للوراء و عينيه لا تبتعد عن موضع مكوث خالد

- غرور شادي و ترفعه، بطشه و ثقته الكامنة في نفسه كعازفٍ سحب الكرسي من عازف بيانو سابق.. كان هوس ممتع له!

أخذ المكانة.. الضوء، صار يعزف منفردًا بل يُطلب أيضًا، أخذ المحبوبة.. لذلك قمت بالمقامرة على حياته في نجاح صناعتك للقنبلة.

أشار بيده حركة دائرية لم يفهمها خالد

- و لأنك أرخيت دفاعك في وضع الخطة، تغافلت عن كون شادي لديه هبة الأذن الموسيقية كعازف مثلك فأضعت.. ما رأيك سيد خالد؟





- كان يستحق ما أصابه.. بل بل كان يستحق أكثر من ذلك!، كان مجرد عازف كَمَان في الفرقة و كنتُ العازف الأول لها و المنفرد، كنتُ مديرهم أيضًا و منسقهم، و حينما خطف مني نور لم أستطع تجاوز الأمر، لكني فشلت في المقامرة أجل وخسرت شغفي و جسدي كما ترى، صار هو العازف للبيانو.. أردت أن أشوه مسيرته بلاريا لكن نور فعلت المستحيل بمكانتها لوقف تداول الصور و تأكيدها كإشاعة..

تغيّرت تعابير وجهه للاستياء من فعلتها، و الكره الجلي في صوته أصبح ضاهيًا بجرمٍ لا يُخفيه

- حينما أتت دعوة لعزف الأوركسترا في دار الأوبرا والسفير ضيف شرفي، ولدت لدّي الكثير من الخطط.. فأتممتها.

ألقى عامر لُفافته أرضًا مع سحق بقاياها، وضع كفيه في سرواله و عينيه تنصب كمينًا للمختل أمامه

- أي أنك عاقبت نور لتخليها عنك بظهور لاريا وخيانة شادي، و عاقبت شادي على خيانته لك مع نور و..





استقام خالد يواجهه و قد ظهر التعب على قسماته ليؤكد له و يُكمل عنه:

- و سرقته لشغفي الذي لطالما وضعه في خباياه، نجاحه في كل مأزق أضعه به جعلني محض متفرج أحمق و أنا الذي كنت المُعلم الأول للجميع و المنفرد في عزفي..

ولى رأسه عن عامر و أرتكز على آلته بالجوار و أكمل:

- لا يجوز له عزف موزارت إن لم يكن كُفء به، لقد انتهى أمر شادي كما عازف لُعن بخطؤه، و لم يُصدق رماده أحد!

ابتسم بانتصارٍ سرعان ما تحول لهلع عندما حاوطت الشرطة المكان:

- أ .. ألم تقل أن القضية قد أُغلقت؟!

- بالفعل.. القضية أغلقت بالعثور على الجاني الحقيقي و هو أنت سيد خالد!





صفد كفيه بين معارضته لهم و أخذ من أمامه لكن أوقفهم عامر لثانية يُخبر خالد أمرًا

- قال لنا سيد عمر أن شادي اختار تلك المعزوفة لشكر شخصٍ ما في نهاية الحفل.. ربما أنت وحدك تعرفه جيدًا.

ثم رحل ليُعاقب بجرائمه التي سيقرر فيها القاضي حكمه.. لكن أمله للتنفس صار بعيدًا.

عُزفت قداس الموت هنا.. فكانت قُداس لقاتله و موتٍ له.

تمت





قضية ملجأ مدينة نصر

بقلم

تقى مكاوي





اللُعبة الخالدة..

بداية عادية، تعادل رتيب.. وتكافؤ في السيطرة على حيز القطع..

وما بعدها تضحية مجنونة بقلعة شامخة مقابل جندي واحد ..

هذه اللعبة الخالدة التي تجعل من شخص عادي .. آلة متحركة قاردة على فرض كل الاحتمالات والتي تتضاعف مع كل حركة جديدة...

لعبة كهذه جعلت منه الرجل الأمثل لوضع نهاية لتلك المباراة والاحتمال الوحيد فيها..

أن الجاني هو طفل لم يتجاوز الثانية عشر..

هو القطعة الوحيدة الثابتة في مباراة قُتل كل من فيها.. وبقي هو وحده يده ملطخة بالدماء وقطعة ناقصة من المفترض أن تكون احتمالاً أنسب..

**

"من ملفات عامر صقر"





"ملجأ مدينة نصر"

يقولون أن أفضل بداية لسرد الحدث..هو اقتحام الحدث نفسه..

تجسيد الصورة حتى تظن أنك خالد في لحظة الحقيقة..

وهنا الحقيقة مبهمة ..ولحظة الحدث مبتورة البداية...

والواقع طفل بجسد هزيل يرتكن لجدار قابل للسقوط..والنظرة في عينيه تسرد احتمالات أكبر من عمره..

جريمة..

والجاني الوحيد المحتمل هو بهيئته الضعيفة!..

والوضع هنا يضع فرضية غير منطقية أنه نفسه صاحب النظرة الخاوية والوجه البائس والذي شب عن طوق الطفولة أمس..

متهم في جريمة قتل طفلين من عمره..أصدقائه وربما حازوا مكانة الإخوة في ذلك المكان..





ولكن على نحو غامض ومتداخل اختفى مدير الدار ووضع اختفاؤه نهاية الحدث حيث جعلت منه المتهم الأول ووضع الطفل في مصحة عقلية وقُيدت القضية ضد مجهول..

**

كانت التضحية الأولى غير متوقعة، حركة مفاجئة لدرجة أنه ظن أن هناك فخ قادم..

ومع وضع كل الاحتمالات أتى بحركته التالية فقام بأكل "الطابية" التي كانت بمثابة هدية من خصمه ولكن كان للواقع رأي مختلف تمامًا...

_ قضية انتهت من أشهر مقيدة ضد مجهول والجاني مختفي إعادة فتحها من جديد لن يكون لطارئ عادي أليس كذلك؟!

أهداه نصف نظرة قبل أن يعود بكامل تركيزه للمباراة التي تضعه في كل مرة أمام ألف احتمال في لوحة شطرنج صغيرة...

هواية أتقنها حتى صارت جزء منه ومن وظيفته..





أجاب الآخر بهدوء وهو يراقب بحذر حركته التالية..

_ قُدم بلاغ أمس يخص المتهم.."صاحب الدار"

اعتدل في جلسته وهو يرمقه بتركيز..

_ أي بلاغ؟!...

_ قدمت ابنته بلاغ أنه متغيب من يوم الحادث..

أصدر صوتًا ساخر يستهزئ بالمحاولة الساذجة..

_أتظن هذا سبب كافٍ لفتح القضية ؟!..لا تقلق أنها إما غطاء لهروبه..أو أنه قرر خوض المسألة بعيدًا عن عائلته..

_ ورد إلينا بعض تقارير معاملاته البنكية..لم تتم أي معاملة منذ يوم اختفائه..ألا تظن أنه لو اختفى لكان احتاج مالاً خاصًا أو مساعدة عائلته؟!...

قام بحركته الأخيرة مؤقتًا قطب بتفكير وأسند ظهره إلي مقعده بهدوء وعقله يتجه نحو الاحتمال الذي فرضه سابقًا لصديقه الذي كان مكلف بالقضية ورفضه تمامًا..





" الطفل"

تنهد بضيق وهو يثق أن الصمت الذي يحيط به يحكي أسرارًا يأبى أن يصرح بها..ولذلك قرر أن يتولى القضية تلك المرة باحتمال مختلف...

_ قبل أن أباشر فتح القضية مجددًا أحتاج لمقابلته..

عقد معاونه حاجبيه باستفهام وسأله عن الأمر..

_ من؟!..

_ الطفل..

كانت إجابة واحتمال جديد تركه في جوفه معلقًا منتظرًا خطوته التالية..

وعيناه تطوف على رقعة اللعب تهدي لعقله مئات الحلول لحركة جديدة لكنه قرر التوقف مؤقتًا حتى يرى فرضية مناسبة...

**





ممر أبيض طويل على مد البصر، وعلى الرغم من رائحة المطهرات التي تنبعث من كل زاوية لكنه ما زال يستطيع تمييز رائحة دخيلة كأنها أدخنة محترقة تمتد أمام بصره في خطوط متعرجة..

ووجه الرجل بجانبه قاتم بطريقة غير طبيعية وجه ملئ بغضون كشقوق توضح تقدم عمره ويتحدث بأريحية عن كل شيء كأنه في رحلة استكشافية لعالم آخر....

يشعر عامر ببعض الضيق نتيجة حديثه المتواصل والآخر يلاحظ صمته التام ويتابع حديثه دون انقطاع...

-هذه غرف المرضى.. وهذه للجلسات الجماعية التي تعود علينا كل مرة بعقاب جديد..بضعة حمقى يمارسون هواية عجيبة وهي قتل أنفسهم..ما ذنبنا نحن؟!..

كان يستقبل حديثه بوجه مكفهر حتى وازاه في خطوته وبادره بجدية..

_ أريد رؤية المدير .. أعتقد أن الوقت الذي تهدره معي قد يقوم أحد منهم بقتل نفسه كما تقول..





ابتسم الآخر ابتسامة لا روح لها وكأن للمكان طابع خاص على أرواح من به..

_ هذه هي الغرفة الأخيرة سيدي...تفضل بالدخول...

موقع هذه الغرفة كاشف لكل ما دونه كأنها تمتد لتشمل كل ما حولها ولكنها بعيدة كأنها تتخذ موضع يحول دون كشف أسرارها..

دلف بهدوء بعدما سبقه الممرض في التعريف..قدم نفسه في ثبات...

- عامر صقر... مقدم مباحث قسم***..

وقبل خوض أي أحاديث لا طاقة له بها سأله بحزم...

- أحمد عبد الوهاب..أريد أن أراه..

هز الرجل رأسه باهتمام وهو من البداية يعلم مراده...





- التقرير المبدئي لحالته غير مبشر إطلاقًا...يرفض الحديث منذ الحادثة لمدة ثلاثة أشهر لم نحصل على تعبير واحد حقيقي..الطفل في حالة صدمة لا أظن أنه يستطيع تخطيها...

تدخل "عامر" وهو يعلم كل تلك التفاصيل التي سردها من قبل فوجه طلبه مباشرة...

- أريد مقابلته لقد تم إعادة فتح القضية...

قطب الآخر حاجبيه، حك ذقنه بتفكير...

_ هل ظهرت أدلة أخرى؟!..

أنهى "عامر" الحوار باستقامة سريعًا وتحرك بثبات نحو الخارج وهو يعلم أنه سيتبعه...

وبعد خطوة تالية هرول الرجل أمامه يستدعي نفس الممرض السابق ويقوده لغرفة بيضاء واسعة.. غرفة لا تستطيع إدراك إبعادها وكل ما فيها يقودك للجنون!....

**





فتح باب الغرفة بهدوء...مر من خلاله متوجسًا، تعلو وجهه نظرة مبهمة ترى بين ثناياها الحقيقة تتراقص أمام عينيك ويحول بينك وبينها عتمة لا قرار لها..

يظل واقفًا، يتخذ جسده وضع دفاع منتظرًا ربما أن يقول شيئًا!...

_ أحمد أليس كذلك ؟!..

وكمن تفاجئ من حديثه تراجع خطوة للوراء، نظر لكل ما حوله كأنه قُذف توًا في هذا العالم ولا يعلم طريق الخروج..

وفي النهاية جلس مسترخيًا في المقعد مقابله تختلف نظرته المرتعدة لأخرى غائمة لا تكشف ما وراءها لكنها توحي بالكثير!...

- أتعلم من أنا؟!..

لم يتوقع أن يحصل على استجابة سريعة كل ما ناله نظرة سريعة طافت عليه كأنه يقيمه و أشاح بعدها بنظره نحو الحائط...





- حسناً ربما لا تعرفني لكنك أكيد تتذكر يوم الحادث؟!..

ولدهشته لم يحصل على انفعال مطلقاً ،ظل على حاله يتابع خطوط من سراب ترتسم على الحائط قباله...

اعتدل في جلسته بعدما أسند مرفقيه لقدمه ومال نحوه قليلاً...

- أتعلم؟!..لا أظن صمتك هذا خوف...ربما هروب أو شيء آخر ؟!...

وفي تلك المرة تلاقت الأعين في صمت لم يزحزح بصره عنه...

كان في عينيه شيء يجهل تفسيره ويحمل كل الاحتمالات..خوف..هروب...فزع...قسوة لا تتناسب مع مظهره الهادئ وملامحه التي تناقض عمره حيث يبدو أصغر ببنية هزيلة وشعر كثيف يغطي غرته....

-لكنني أريد أن أعلم ما حدث تلك الليلة.. دعنا نرتب بضع الخطوات...





كان يتابع حديثه وهو يعلم أنه لن يحصل منه سوى على الصمت لكنه كان يبحث بعيدًا عن الحديث..

فالحقيقة المنطوقة مغلفة بكثير من الأكاذيب..

- إذا قلنا أنك الشاهد الوحيد على قضية قتل طفلين من أصدقائك وهذا الشاهد يمر بصدمة تفقده النطق.. و وجدتك الشرطة بجانب الباب أليس كذلك؟!..

يظل الآخر على سكونه وهو يعدد أمامه الحقائق التي تم رصدها بالفعل ويتابع...

_ لماذا لم تختبئ؟!.. ألم تشك أن يعود القاتل مرة أخرى للتحقق من كمال جريمته؟!...

توقف لحظة ليفرض احتمالية جديدة و سأله بشك..

- أم أنك أردت أن يكتشف وجودك وحينها سيضع عقلك نهاية مناسبة لتلك الصدمة..





رفع رأسه وشكله يتخذ طيفاً مختلفاً عن نظرات الغموض التي تحتله كأنه أراد منه تصديق تلك الحقيقة ولكنه لسبب قوي لم يصدق ذلك الوجه المفتعل..

-لكن ربما لا تعلم ذلك لكن كل من سبق لهم المرور بصدمات متعلقة بالقتل حاولوا إنهاء الموقف بالانتحار لذلك لا أظنك خائف أو مصدوم.. والآن يا أحمد مما تهرب؟!..

يخيم الصمت على الغرفة وتتزاحم كل الاحتمالات أمامه وهو يعترف أن هذا اللقاء أرهقه وعقله يحتاج لمخرج من تلك الأحجية حتى تبادر لذهنه فجأة سؤالاً يفتح أفاق جديدة لعقله...

_ أتعلم أن مدير الدار مختفي منذ الحادث ...ولكن ما الدافع هنا أن يرتكب جريمة قتل ويترك كل شيء وراه فجأة...من المستفيد الوحيد من هذا الوضع؟!..





وفي لحظة تبدل سكون ملامحه لابتسامة مبهمة لم تكتمل لثوان وسرعان ما انمحت لكنه لاحظها وفي تلك اللحظة ظهرت أحجيات جديدة...

**

في رقعة الشطرنج يقوم كل فرد بتحليل كل نقلة إلي العشرات غيرها..كل حركة تحمل معنى...وكل نقلة تفتح أفق غير متوقع...

وحتى تظن أنك آمن بعدد كافٍ من الاحتمالات يباغتك الطعم في لحظة لم تتوقعها أبدًا...

حينما تريد اكتشاف الحقيقة لا تتخذ المسار الهادئ

بعض الحقائق تسبقها حرائق عاتية ولكن لكل حريق..رماد!!...

دلف "سيف" بحماس وهو يضع ملف التحقيقات السابقة أمامه وهو يخبره في تعجب...

- أتعلم أن تلك الدار مملوكة في الخفاء لرجل الأعمال***





يفتح "عامر" الملف أمامه وهو يبادر بالسؤال...

- هل ذُكر ذلك في التحقيقات الأولية ؟!..

- لا لكنه مع غلق الدار صدر قرار حيازتها ملك للدولة ولكن ظهر مستثمر صغير يطالب بملكيتها ومع بعض التحقيق ظهر أنها سُجلت منذ شهر باسمه في عقد صوري لأن الدار يملكها بالفعل رجل الأعمال وما المستثمر إلا غطاء...

تنهد بحيرة وهو يحاول ترتيب قطع الأحجية أمامه...

_ منذ شهر أي بعد ارتكاب الحادث ...ماذا لو أنه احتمال جديد وربما هو من فعلها...

حرك "سيف" رأسه نافيًا...

- ربما لكنك ربما بحاجة لمطالعة ذلك الملف...

قلب بعض صفحات الملف أمام عينيه حتى استقر بصره على حقيقة تم تهميشها من قبل...

- الطفل الأول قُتل بجرعة زائدة من مخدر****





زفر "سيف" بحيرة وهو يخبره بحقيقة أخرى تقلب كل احتمالاته...

- والثاني قُتل بآلة حادة جاءت من الخلف ..

شرد قليلاً قبل أن يسأله...

- وتقرير الطب الشرعي؟!...

- لم يُرفق ضمن ملف القضية ولكن ذُكر اسم الطبيب استطيع استخراجه غدًا..

وثب من مكانه وهو يرتدي سترته على عجالة في عقله تتجمع خيوط أحجية لا يريد أن يفقدها فأمره بحزم..

_ الآن يا سيف..

تحرك "سيف" بسرعة وهو يسأله عن وجهته..

_ إلي أين أنت ذاهب؟!...

- لمراجعة سجلات الدار في الأرشيف...

**





في بعض الأحيان يصبح القتل شريعة مبررة اقتل أو تُقتل!

ذهب "عامر" في اتجاه مكتب الأرشيف وعقله يبدأ بترتيب القطع الناقصة الواحدة تلو الأخرى يعلم أنه سيجد الحقيقة قريبًا ومع النقلة الأخيرة يثق أنه سيخرج من تلك المباراة فائزًا...ولكن إحساسه يقوده أنه لن يكون سعيدًا مطلقاً....

بعد استقبال حار من أمين المكتب قرر "عامر" الدخول مباشرة في صلب الموضوع...

_ أريد سجلات الدار التي وقعت فيها جريمة القتل منذ ثلاثة أشهر أسماء العاملين... اليتامى...سنة إيداعهم.. وربما إيصالات التبرعات إن وجدتها...

تحرك الرجل بسرعة وقد ظهر توتره مع الجدية المفرطة التي تستدعيها اللحظة..

وفي بضع دقائق كان المكتب أمامه يعج ببعض الأوراق المتناثرة التي تخصه ...





كان يتابع كل معلومة بشغف..يفندها ويرصد إمكانية كونها نافعة أم لا..

يتخذ خطوة تالية بتركيز..يقف قليلاً وعينه تطوف على كم المعلومات أمامه حتى وجد مراده في نهاية صفحة أوشك على تركها...ردد بصوت مرتفع وهو يفكر في إمكانية الأمر...

_ سمر عبد الوهاب حسين..تسع سنوات..و تم إيداعها في نفس اليوم..

أخرج ملف آخر للأطفال وصلتهم ببعضهم البعض وسبب الإيداع...وهنا تأكد من شكوكه..

رفع هاتفه على عجالة وانتظر بفارغ الصبر طنين الجهة الأخرى حتى أجابه...

- سيف ...هل تعلم من قبل أن لأحمد أخت؟!..

أجاب الآخر بالنفي فتابع..





- لم يأت أحد بذكرها من قبل لم تصدر لها شهادة وفاة حتى لم يتم ذكر اسمها ضمن اسماء الأطفال التي تم تبنيهم..

تنهد "سيف" بحيرة وقال...

- والآن ماذا نفعل تقرير الطب الشرعي لن أستطيع الحصول عليه قبل ساعات..

شرد قليلاً في تساؤلاته وهو يعاود فرض كل الاحتمالات حتى أجاب...

- نحن بحاجة لزيارة الدار...

**

في كل جريمة ثغرة ما إما أن تدفعك للوصول أو تجد نفسك في دائرة من الأكاذيب تحكم عليك بالتيه!...

استقل "عامر" سيارته برفقة "سيف" حتى الدار حيث كان يتخذ موقعًا جانبيًا في شارع ضيق تظنه من بعيد مهمشًا وما أن تقترب تجد أنه يحتل نصف الشارع...





كان الباب الخارجي مغلق بختم أحمر بفعل التحقيقات السابقة ودرجات السلم الأولي تصدر أزيزًا يناسب الوضع..

وما أن تصبح بالداخل حتى تكون معزولاً عن العالم وتتفاجئ أن كل معالم الحياة رحلت من هذا المكان الممر الأول يقودك لصالة واسعة تشتمل على طاولة كبيرة ربما كانت تضم بضعة أطفال سابقًا..

والثانية غرف متصلة تبدو أشبه بسجن يحوي أسرة معدنية متراصة جانب بعضها البعض ولها باب واحد مغلق من الخارج بمزلاج قوي كإشارة واضحة لعدم إمكانية الهرب...

وفي نهاية الممر غرفة أخيرة تتخذ جانب غير مرئي حتى تكاد لا تبصرها من بعيد يشوبها عتمة مفزعة يتراقص الظلام فيها حتى مع وجود الضوء في الخارج ...

ظلام اضطرهم على تشغيل كشافات هواتفهم المحمولة...

ومن الرائحة الخانقة للأدوية الفاسدة التي تتناثر في أنحاء الغرفة تأكدا أنها حجرة الكشف.. أو العزل..





يتوسطها سريران معدنيان...ودولاب قديم يحتل طول الحائط ونافذة علوية ترسل حرارة مقيتة جعلته يتخلى عن سترته... تحدث باختناق مرير..

_ هنا وُجد الطفل الأول...

أجاب "سيف" بتأكيد..

- نعم.. والثاني وُجد في الممر الذي تركناه منذ قليل وكان أحمد يجلس على بضع خطوات منه يراقب المارة من الباب المفتوح...

شرد عامر في حديثه وهو يقلب نظره في الغرفة..وسأله...

- مساحة المبنى من الخارج لا توحي بأن تكون الغرف ضيقة كذلك...أواثق أنه مبنى واحد؟!...

- ذكر في تفصيلات القضية أن المطبخ له باب خارجي يفتح على حديقة كبيرة تشمل المساحة الخلفية...





تحرك نحو المطبخ الذي كان فارغًا إلا من طاولة كبيرة وموقد نار وبعض الأواني المتناثرة... فتح الباب الوحيد الذي كان يحتل الجانب الأيسر منه...

ومن المطبخ ظهر أمامه حديقة مهملة واسعة ظل يراقب الوضع حتى تحرك لمنتصف الحديقة وهناك وجد جمعًا من الأشجار المتشابكة الكثيفة حاول الدخول منها ولكنه لم يجد شيئًا سوى ظلام يفرضه تشابك الأغصان وأشعة الشمس تحاول اختراق المساحة الصغيرة الممكنة..

وفي طريقه للخروج علق زر قميصه في غصن صغير أدى إلى قطعه انحنى حتى يلتقطه وهناك لاحظ أرضية خشبية متوارية خلف بعض الأوراق الكثيفة...

رفع "عامر" عينيه وهو يصرخ ب"سيف" أن يتقدم إليه..

- انظر إلي هذا!..

تقدم "سيف" بسرعة يحدق بتركيز في الأرضية الخشبية..





- لم يُثبت وجود هذا الباب من قبل صحيح!..

سكن قليلاً وعقله يوجهه للخطوة التالية مع احتمال قادم بوجود مراده داخل تلك الغرفة المخفية وحينها تقدم بعدما أزاح الأغصان عن طريقه ورفع الباب الخشبي الذي كان لغرابة الأمر سهل الفتح..

تقابله العتمة والرائحة الخانقة لبعض الأدخنة المحترقة.. أشعل كشاف هاتفه وهبط عبر السلم الجانبي يتبعه "سيف" في حذر..

وهناك كان يحدق الاثنان في الفراغ حرفيًا..غرفة خالية من أي شيء سوى....جسد راقد في زاوية الغرفة..

الجاني الوحيد في هذه القضية...والاحتمال الذي شك في حقيقته سابقاً...

" مدير الدار" الذي اختفى منذ الحادث كان في مكان الجريمة يؤكد حقيقة لم يغفل عنها أن تلك الأحجية حلها عند ذلك الطفل..





رن هاتف "سيف" فجأة جعلت الاثنان يضطربان لثوانٍ أجاب بعدها...

_ حسناً..أرسل لي نسخة عبر الهاتف أريد عرضها عليه...

قطب " عامر" حاجبيه باستفهام وسأله...

- ماذا؟!..

- تقرير الطبيب الشرعي أفاد القتل بآلة حادة كما ذكر من قبل..ولكن الجديد أن الضربة الأولي آتت من ارتفاع منخفض أدت لكسر في العنق..والبقية لم تتجاوز نهاية الرقبة...ارتفاع صغير جدًا أليس كذلك ؟!...

تحرك للأمام حيث جثة الرجل راقدة أمامه في سكون وتحدث بهدوء..

- ارتفاع لا يكون إلا لطفل صغير خصوصاً مع طول الطفل الثاني...

بُهت "سيف" قليلاً وسأله:.





- أتظن أنه القاتل؟!...

اتجه" عامر" نحو الخارج يتسلق السلالم القليلة وهو يجيبه...

- أنا متأكد يا سيف...

أسرع "سيف" نحوه يواكب خطواته يسأله...

- إلي أين تذهب؟!...

- إليه وأبلغ عن تلك الجثة حتى يتم تشريحها....

**

يمر الهواء من بينهما مختنقاً...مشاهد باهتة يحافظ هو على صمته.. والآخر يفند الصورة بتأني...

حمحمة خفيفة صدرت منه جعلت أعينهم تتلاقى لثوانٍ وكانت الرسائل بين أعينهم مبهمة بشئ من حقيقة!...

- لقد عثرنا على مدير الدار...

سكت قليلاً يراقب انفعالاته الصامتة وحينما فشل في العثور على الحقيقة تابع...





- مقتولاً..بنفس الآلة التي قُتل بها صديقك..

ارتعاش أنامله هذا كل ما لاحظه منه فاستطرد حديثه...

- لم يكن المدير وحده من وجدته...أتعلم ماذا وجدت أيضًا؟!.....سمر...سمر عبد الوهاب حسين...

وفجأة انجلت نظرة الغموض في عينيه، وثب من مكانه يتمسك بثيابه وهو يبدأ في نوبة بكاء حادة تتقطع أنفاسه مع الكلمات التي تخرج بطفولية...

- هل تعلم مكانها؟!..أريد أختي من فضلك؟!...

أشفق عليه "عامر" فأعاده لمقعده وسأله بحزم:

- أنت من فعلتها صحيح؟!...

استكان بهزيمة وهو يحدق في أنامله المعقودة لا يجد مفرًا من الاعتراف..

- نعم...لكنه كان يستحق لقد أخذت حقي...

-لماذا؟!..





مر الحزن بعينيه بمحازاة الذكرى ومع بدء الحديث اشتعل الحقد في عينيه يقطر من بين كلماته بجانب دمعه المنهمر...

- كان يتم بيعنا..الفتيات تُباع في مزاد صغير يتم في الغرفة الخلفية في تلك الليلة رأيتها ..عارية يتحسس جسدها رجل ضخم والجمع الحاضر ينهشها بالنظر...

أغلق عينيه يحجب الدموع من الهطول وتنشب النيران الحارقة في صدره..

- لم أستطع مساعدتها راقبتها وهي ترحل في صمت وقبض هو ثمنها...

هدأ قليلاً وبدأ يسرد باقي الحقائق التي تجعل من الصورة كاملة...

- في الأيام الباقية كان يبيع الصبية في مزاد مماثل ولم أعلم يومًا لماذا... حتى ذلك اليوم...

- فقدتها لأجل المال...فقتلته لأجلها...





ظل يردد ذلك كثيرًا حتى حاول عامر تهدئته..دخل الممرض بحقنة مهدئة وسحبه نحو غرفة أخرى...

في نهاية المباراة تحدى نفسه وانتصر لكن كان النصر له مرارة مقيتة جعلته عاجز عن الاحتفاء بنفسه

**

في النهاية وجد أن ما حدث كان في نطاق تصوراته..مع آلاف الاحتمالات التي فرضها عقله البشري كان احتمال كونه القاتل هو الاحتمال الأول لكن في قرارة نفسه كان يسعى لغير ذلك...

قطع "سيف" شروده يحاول تفنيد الصورة بدقة ...

- حسنًا الطفل الأول قُتل بجرعة زائدة على يد الرجل عن طريق الخطأ والآخر قتله أحمد عندما هلع بعدما شاهده ...

- نعم؟!..

- حسنًا والأطفال التي تم بيعهم؟!..





احترقت النظرة في عينيه مع احتراق لفافة تبغه التي ألقاها عنه يراقب اشتعالاها الأخير...

- ذلك أساس قضيتنا يا سيف..هذا الطفل هو ضلع في مؤسسة كبيرة يجب هدمها..

استقام يفتح نافذة الغرفة يحدق من خلال الظلام ويتنهد بضيق...

- هو ضحية وربما كنت مخطئًا في وضعه قاتلاً هو استغل الشريعة المبررة..اقتل أو تُقتل

تمت





قضية عدالة ناقصة

بقلم

سها سيف الدين





الحياة مأساوية

لا تثق بأحد ولا تصدق أحد؛ عمله يرى منه بشاعة البشر وحسب سافكي الدماء؛ يرى بها شياطين لا ينتمون لمملكة إبليس يكاد يكفر بوجود الإنسانية والرحمة وهو يجد الأخ يقتل أخاه والإبن يقتل والده بل حتى الأم تنحر أطفالها لأجل عاشق في كثير من الأحيان سوف يذيقها مرارة كأس الغدر فكيف له أن يصدق شقيقة تقسم أمامه أنها لم تقتل شقيقتها من أجل ميراثهم؛ كل الأدلة ضدها في قصة معادة ومكررة وخلاف على ميراث كتبه والدها كاملاً بإم شقيقتها الكبرى ليمر شهرين من الخلافات التي لا تتوقف!!

شهرين كانا كافيين تماماً لتصبح يسرا ضحية ومي قاتلة!!

- لم أفعلها؛ أقسم أنني لم أقتلها لقد وجدتها على تلك الحال حين دخلت للمنزل

- آنسة مي؛ لا أريد أن أقص على مسامعك كلاماً مكرراً إنكارك من عدمه لا يمثل فائدة... أنا لدي ضحية وسلاح جريمة





ومسرح جريمة كنتِ به تحملين السلاح ناهيك عن أنك قد قمتي بتهديد المجني عليها بالقتل منذ عدة أيام

أخبرها بوضوح لتصيح هي بإنفلات أعصاب واضح للعيان

- إنها شقيقتي!!

- ألا ترين أن تهديدها بالقتل ليس حديثًا وديًا بين شقيقتين

إهتزاز عيناها يخبر عن توترها؛ جسدها كله يبدو مرتعشًا فقرر التوقف عند هذا الحد وأعادها لزنزاتها.... أمسك بأوراق القضية يطالعها يعيد قراءة التحقيقات ويتخيل ما حدث بذلك المنزل الفخم

عقله يجمع المشهد كأنه يراه أمامه حين دخلت المتهمة من الباب تخطو بهدوء وشقيقتها تطالع كتابًا تلطخ فيما بعد بدمائها؛ مازالت تتذكر آخر حديث دار بينهما حين تواجها بتلك اللحظة





- لقد اتصلت بالسيد هشام المحامي وأخبرني أنه يمكنني الطعن في سلامة القوى العقلية لوالدنا العزيز قبل وفاته وحينها تصبح تلك الوصية كأن لم تكن

كانت تهدد وتتوعد تظن أنها ستوقف شقيقتها عما تريد لكن العكس هو ما كان فهي أغلقت الكتاب بهدوء ووقفت تجابهها متوعدة

- افعليها ... هيا افعليها مي؛ دنسي ذكرى الرجل واجعلي منه مجنونًا بعد وفاته

لم تكن تخاطب عاطفتها بل الغضب المكبوت كان سيد موقف على وشك الإنفجار

- كل ما فعلتيه بحياتك كان دفع والدنا للجنون وتشويه سمعته؛ لِم تريدين المال شقيقتي العزيزة لتنفقيه على ذلك الحقير الذي رفض والدنا زواجك منه الآن وقد زال العائق الوحيد فلابد له من عودة أم أنك من عدتِ للمخدرات مرة أخرى ولا مال لديك، أجيبيني....





صاحت بها تضربها بكتفها ومن أمامها دموعها تتساقط بصمت فهي المذنبة الخاطئة التي لا يحق لها شيئًا، خطايا ماضيها تلاحقها ولو أنها مازالت ابنة العشرين لكن دلال والدتها أفسدها اما شقيقتها فكانت دومًا ابنة أبيها

- غادري بلا رجعة لا مال لكِ هنا، انتِ تسببتي بموته

- أنا!! يبدو أنك نسيتي خطاياك مدام يسرا وكيف أنني أنا من كتمت الأمر كله حين غدر بك حبيب القلب وتركك تحملين طفلاً؛ كنت أنا شقيقتك الصغرى من تكفلت بحل الأمر كله وأبقيت على سمعتك حتى لا تصيري بنظر الجميع عاهرة..

- اخرسي!

صرخة وازتها لطمة على وجنتها، أتكن لطمة كافية لتطعن شقيقتها بعنقها حتى الموت!!

تلك القضية يرى بها شيئًا مختلفًا رغم أنه إعتادها





- إنها قضية مغلقة سيد عامر لم تكلف نفسك عناء البحث، هي قتلت شقيقتها لأن والدها أعطاها كل شيء؛ بل إن كل شيء بتاريخ الفتاة قد يجعل منها قاتلة، علاقة متوترة بالعائلة الكثير من التمرد والدخول إلى مصحات الإدمان لعدة مرات

أخبره لكن عقله كان يسبح بعيدًا يتساءل كيف لمنزل فخم كهذا ألا تتواجد به أي كاميرات مراقبة ولا حتى على البوابة!

- ألا يعد الأمر غريبًا سيد/ باهر ألا تتواجد أي كاميرات بذلك الشكل؟!

- يسرا كانت تعشق الخصوصية ولا تشعر بالأمان وهي تتحرك في مكان يتم تصوير كل شيء به لذا كانت ترفض الأمر

أخبره الزوج الملكوم الذي بدا حزينًا للغاية لفراق زوجته فهو إنهار أمام جثتها في المشرحة هما قصة عشق تغنى بها الجميع

- انت تصدق أن شقيقتها قتلتها بالفعل؟!





- لا أريد أن أصدق؛ لطالما اعتنت يسرا بشقيقتها الصغرى لك تتخلى عنها يوما رغم كل ما فعلت

الأمور كلها واضحة لكنه يشعر أن هنالك حلقة مفقودة؛ شيء ما ناقص رغم كل الأدلة كان الشعور مسيطرًا عليه حتى أنه ظل شاردًا بمنزله لكن زوجته إعتادت الأمر مع كل

قضية جديدة يكن هذا هو الحال؛ إختلى بقهوته بالشرفة يفكر رابطة الدماء تهون لكن صدمة الفتاة حين رأت جثة شقيقتها كانت حقيقية كأنها المرة الأولى التي تراها بها على تلك الحال.... الدماء في كل مكان أخافتها لكن ربما كان كل ذلك إدعاء؛ حديث نفسه يحاول به تفسير ما جرى لكنه أمام كل إستنتاج يضع حجة تخبره أن الفتاة مذنبة ولا براءة لها سوى بحدسه وحسب .... شعور بأنها لم تفعلها فطلب من سيف أن يعيد له كل الأوراق مرة أخرى فشرع يدرساها مع لكن سيف لا يفهم؛ تقرير الطبيب الشرعي يحدد سبب الوفاة وهو " الطعن بآلة حادة في عنق الضحية"





- لا بصمات على سلاح الجريمة

همس لنفسه ليسمعه سيف ويطالعه بصمت ليستطرد

- لو كانا في شجار وطعنتها على إثره فستفر فورا من مسرح جريمتها لن تنتظر حتى تمحو بصماتها

شرح وجه نظره كأنما يريد سماعها بصوتٍ عالٍ فقاطعه من أمامه

- أي شخص بات الآن يعلم أن البصمات دليل قاطع

- وأي شخص يمكنه أن يكون قاتلها في غياب كاميرات المراقبة نحن لدينا خمسة أفراد بهذه القضية، الخادمة والبواب والأخت والزوج جميعهم تواجدوا في مسرح الجريمة في وقت وقوعها

أخبره ليجيبه سيف بما يعلم به مسبقاً

- الخادمة والبواب وزوجها جميعهم بلا دافع وحدها شقيقتها تمتلك المال يجعل من البشر وحوشاً





وهو يدرك أنه محق لكن الحلقة المفقودة كان ما يبحث عنه؛ حلقة وجدها حين عاد لمسرح الجريمة يبحث مجددًا بكل شبر حتى بطريقة تناثر الدماء على الحائط؛ كل شيء بمكانه وهو حر الحركة بعد رفع البصمات ليلمس ما يريد

المنزل انيق خال من كل شيء سوى أريكة كبيرة أمامها شاشة عرض ومشغل للإسطوانات؛ مكتبة فيبدو أن الضحية تحب القراءة والكتاب الذي تناثرت عليه الدماء مازال في مكانه على الأرض اقترب يرفعه ليعيده مكانه ليجد مكانه إسطوانة!

أتدري أن الحدث بتلك القضايا هام لدرجة لا يتخيلها بشر؛ القانون لا يعترف سوى بالأدلة لكن رجل المباحث المخضرم يتبع حدسه أينما يصل به ذلك الحدس وبالنهاية أوصله إلى ما يريد

فبعد الإطلاع على الإسطوانة شعر أنه وجد ما يبحث عنه وقام بإستدعاء الزوج، الذي إنهار وهو يرى ما يعرض أمامه أغلقه





كأنه يمنع عقله من مشاهدته مرة أخرى؛ كان عهر زوجته معروضًا أمامه

- سيد باهر.....

- أنا قتلتها؛ هكذا سيدي المحقق لم يكن أمامي سوى فعلها؛ لم تكن تحب أبدًا أن تضع كاميرات مراقبة لكي تكون حرة؛ حرة في خيانتي مع حبيبها السابق؛ أنا المخدوع الذي أدرك مدى حماقته

الآن يتذكر جنونه حين وصلته تلك الإسطوانة بمكتبه حينها كاد يجن وهو يراها ويقرأ ما بداخل سطور الرسالة التي وصلته عن هوية الرجل وأنه حبيب زوجته السابق الذي حملت منه قبل زواجها؛ كيف أنها أصلحت الأمر بعملية بسيطة فتزوجها بكرًا عفيفة... حطم الحاسوب أمامه وغادر إلى المنزل حيث كانت هناك غاضبة من مواجهة شقيقتها مرتعدة بعد أن ألقت إليها شقيقتها بنسخة من الإسطوانة تهددها بها بفضح كل شيء





- يسرا!

كان نداؤه غاضبًا بعد أن صرف الخدم فأخفت الإسطوانة بين الكتب ليسقط الكتاب وتشعر به يجذبها

- كل تلك السنوات تقومين بخداعي!!!

- ما الذي تقوله؟!

إنكارها دفعه لصفعها فسقطت أرضًا لتطالعه بصدمة

- هل فقدت عقلك؟!

- اخبريني، انتِ ألا يفقد رجل شاهد زوجته تدنس فراشه بعرها

اتسعت عيناها بصدمة لكنه فقد عقله كان يصيح بها كالمجنون وهي تحاول الهرب وتنكر بل تستجديه أن يسامحها لكن الأمر كان انتهى لحظة غضب؛ جنون .... انهت الأمر كله

- طعنتها بالسكين لم أستفق إلا والدماء على يدي؛ فكرت في إبلاغ الشرطة والإعتراف لكن ماذا عن طفلي الصغير... كيف سيواجه الجميع بما حدث والد قاعل وأم عاهرة لذا فكرت في





إلصاق التهمة بشقيقتها كلتاهما تستحق وربما أنا من أستحق.... كنت أعمى بحبها لا أراها سوى قديسة بعالم العهر!

الإعتراف سيد الأدلة ولو تعاطف الجميع معه بالنهاية هو قاتل تم تقديمه للعدالة وتم إطلاق سراح شقيقتها التي انتقلت للعيش في منزلها لترعى صغيرها وصار كل شيء تحت إمرتها الحياة تعدل مسارها حتى وجدت نفسها وجها لوجه بعد عدة أشهر بمواجهته مرة أخرى

- سيد، عامر .... لِم شرفتنا بالزيارة؟

- اليوم تم الحكم على زوج شقيقتك رحمها الله بسبع سنوات.... مسكين ذلك الرجل

اخبرها لتنتفض غاضبة وتصيح

- مسكين!! شقيقتي تسكن بقبرها وانت تقول عنه أنه مسكين

ابتسم بهدوء ووقف يواجهها

- من أرسل له ذلك المقطع؟!





ومع إرتباك عيناها حصل على إجابته

- لم تتوقعين منه قتلها، أردتِ فقط هدم حياتها المثالية، أتعلمين لِم هو مسكين آنسة مي لأنه لو انتبه للتاريخ لوجده مقطعًا قديما يعود لسنوات مضت لكن كيف لرجل بموقفه أن يفعل

- أنا........

انحشرت الكلمات بحلقها ليرفع يده ويوقفها

- استمتعي بمالك الملوث بدماء شقيقتك وضياع زوج لا ذنب له بشيء

غادر لا يملك الدليل يدرك أن العدالة لا تعرف سوى الأوراق والأدلة، عدالة الأرض ناقصة وحدها عدالة السماء مكتوب لها الإكتمال

تمت





قضية الوشاح الأزرق

بقلم

صابرين الديب




يقول "كارليل": من امتهن القتل، كان ضميره هو ضحيته الأولى.

**

الجثة الثالثة ظهرت!

لم تختلف في الكثير من التفاصيل، تفاوتتْ درجة العنف بعض الشيء، لكن بقيَ توقيعه المميز كما هو؛ وشاح أزرق ملتف حول عنق الضحية وإن لم تمُت خنقًا به.

**

القتل للبعض فنٌّ محض، يتقنه، يقوم به بحرفية ودقة، يكترث لكل هفوة فلا تسقط منه إحداها، يرسمه بفرشاة داكنة الألوان، يريد بها أن يمنح الناظر لوحة يظنها تحفته الأنيقة.

خاصة تلك القضية التي تعثر فيها طيلة الأشهر الثلاثة الماضية، فهو ولأول مرة يتلاقى مع قاتل متسلسل!




أتاه الخبر أبكر مما يجب. عنوان تفصيلي وموقع على هاتفه، لم يتأخر في الذهاب، الجو به لسعة من برودة، الندى مازال يغطي الأجواء والشمس تبزُغ على استحياء من خلف السحب عبر الأفق.

منزل أنيق بحي المعادي، داخل شقة في طابقه الثاني كانت بانتظاره الضحية الثالثة. وجد معاونه يلاقيه بوجه مكفهر وملامح متوترة، بادره دون تحية:

- ما الجديد هذه المرة؟

وازاه "سيف" في خطواته إلى حيث وُجدت الجثة:

- طالبة في الثانية والعشرين من العمر، بالسنة النهائية من كلية التجارة، مغتربة، مسقط رأسها يعود لإحدى قرى الدقهلية.

دلف "عامر" للغرفة بانتباه، قطب بتساؤل وبصره يسقط على الفتاة المتموضعة على ذات وضع ضحايا قاتله السابقة، مغطاة بشرشف شبه ممزق استنتج معه ومع ما ظهر منها؛ عريها.





هاتفها، هويتها وحقيبة يدها الصغيرة مهملون على طاولة جانبية، مسلط عليهم ضوء مصباح قديم خافت:

- كيف قُتلتْ؟ ومن وجد الجثة؟

تنفس "سيف" ببطء، زم شفتيه والغضب العاجز يبتلعه ويتقيأه في كل لحظة:

- التقرير المبدئي يشير إلى الموت خنقًا كما العادة، قبل يومٍ واحد، وهي المدة التي قالت زميلتها بالسكن الجامعي -حين سؤالها- أنها اختفتْ خلالها، لكن كان غالب ظنها أنها سافرتْ إلى بلدتها.

ولوح من خلفه مردفًا بتتمة الجواب:

- مالكة الشقة من وجدتها، تعالى صراخها حتى أيقظت الحي كله قرب الفجر. عادتْ من السفر لتجد فتاة تجهلها ميتة بفراشها.





تأملها "عامر" بوجه مبهم، نظرته تحاول تحليل المشهد والغوص في أعماقه. يدور حول الفراش الذي استقر فوقه الجثمان المُزرق، يراقب رجال المعمل الجنائي وهم يحررون العنق من طوق الوشاح. يلمح أثر الخنق فوق الجلد الشاحب، مما يعزز توقيت الوفاة المُقدر. الجثة يسهل تحريكها لذا بالفعل قد مرَّ أكثر من أربع وعشرين ساعة، لا توجد علامات تدلل على نقلها من مكانها بعد الموت، كل البراهين تشير إلى أنها كانت حية عندما أتتْ إلى هذا المنزل المهجور، وأنها قتلتْ بين طيات هذا الفراش.

تأمل الغرفة بتفحُص، سأل رفيقه بحزم:

- هل هناك أي أثر لاعتداء جنسي؟

جاوبه "سيف" كابتًا ضيقه مما يحدث، من مشهد الضحية العاري بين أغطية ووسائد حمراء متناثرة حولها كلوحة إغراء فجة، من عجزهم عن الإمساك بذلك القاتل الذي يناورهم





منذ شهور، بل ويتسلى مستهينًا بعدم قدرتهم على إلقائه خلف القضبان:

- ليس بعد، ستُنقل إلى المشرحة وحينها سنعرف.

هز "عامر" رأسه، حكَّ ذقنه بتفكير:

- لا أظنه فعلها، قاتلنا يقتل لأجل القتل.

تنبه له "سيف" باهتمام:

- ماذا لو كانت امرأة؟

رفع "عامر" حاجبه والتفتَ إليه باستفهام، أوضح هو مشيحًا بيده:

- أعني القاتل.

- لا.. جرائم المرأة في الغالب جرائم عاطفية، دومًا ما ستجد رابطًا بين ضحاياها، وفي المعتاد القتلة المتسلسلون من النساء نسبتهم أقل بكثير من الرجال.

همهم "سيف" بتبرم ساخر:





- لستُ أدري من أي فيلم سخيف هبط علينا ذلك المجرم!

- في العادة تكون دوافع القتلة من هذا النوع نفسية، لذا ولأن المرض النفسي لا يحتكره عالم أو ينتمي لأوطان؛ يمكنك أن تقابله في أي مكان. ربما فقط هو نادر على أرضنا.

ثم عاد يقترب من الجثة، يراقب أحد رجال المعمل بينما يرفع ذراعها، يلمح أثر أصابع فوق المرفق بقليل، كأنما صاحبها ضغط هناك ليجبرها على الحركة أو التوقف، أشار إليه واقترب يتمعنُ فيها:

- انظر، هذه قبضة ذكورية، الأصابع طويلة، وحجم الكف نفسها يكاد يبتلع الذراع كاملة، هذا ليس أي رجل، بل هو في الغالب طويل القامة، متين البنيان. وهذه الضغطة حدثتْ قبيل الوفاة بثوانٍ.

اعتدل يسمح للفريق برفع جثتها:

- أية دلائل أخرى؟ بصمات على سبيل المثال؟





نفى "سيف" بيأس:

- كالعادة؛ لا.

خطا "عامر" للخارج بنشاط جم، دافعه مزيج من الضيق والقنوط والرغبة في القبض على ذلك المجرم الذي يعيث فسادًا في منطقة نفوذه. أشار للنقيب الصامت بتحفز:

- دعنا نعود إلى المكتب، نرتب الملفات سويًا، ونفتش عن رابط يجمع بين الجثث الثلاث.

تبعه "سيف" وجاوره في سيارته. وصلا لمكتبه وهناك أخرجا كل الملفات الخاصة بالقضية في محاولة للفهم، فردا الأوراق جميعها على المكتب العريض.

الضحية الأولى كانت شابًا بسيطًا، يعمل كفتى توصيل لأحد مطاعم المأكولات السريعة الشهيرة، وُجد مقتولاً على أحد الكباري التي تعبر نهر النيل، مصلوبًا لعمود إنارة، مخنوقًا بشيء من عشوائية كأنما قاوم قبلها قليلاً، ووشاح أزرق يلتف حول عنقه. معصماه مكبلان بأغلال تشبه خاصة الشرطة، كل





منهما لجهة تخالف الثانية، مرفوعان للأعلى بمسافة محددة جعلتهما أشبه بوضع الطائر المحلق. تمامًا كالجثة التي وجداها قبل قليل، ممددة بالفراش على ذات الوضع، وعارية بالمثل!

أما الثانية فكانت لشاب كذلك، يكبر الأول بعام واحد، ويعمل في محطة بنزين، لا شيء به مميز أو بمن سبقه. وكعادة تلك الأمور، الأولى هي الاحتمال، الثانية قد تكون مصادفة لكن الثالثة تثبت نمطًا محددًا. حيث أن الثاني اكتشف جثته زميله بالمحطة عقب ساعات محدودة من موته مختنقًا بحمام العاملين، جسده يستند للمغسلة، وذراعاه معلقان لعمودين يحيطان به.

كذلك عنقه كان يطوقها وشاح أزرق، لا يختلف في درجة اللون أو خامة القماش، هو ذات الوشاح، نسخًا مكررة منه.

والآن هذه الفتاة..

"هند شوقي معروف"





ملامحها عادية للغاية وإن كان بها بعض براءة، لا شيء هنالك مختلف. بيضاء البشرة، متوسطة القامة، وهي الأنثى الأولى وسط هذه المعمعة!

**

للقتل طقوس خاصة، شغف متفرد، متعة لا تضاهيها أي متع سادية أخرى. نزع الروح وحده هو السلطة الأعظم، والغنيمة الأجدر بالتسابق إليها.

طوى رسالته بحرص بعدما تأملها لمرة خاتمة، ابتسم بتلذذ قبل أن يضعها داخل مظروف داكن الزُرقة، أغلقه بمسحة من ماء وكتب على ظهره بحروف مفككة استخدم فيها يسراه..

"يُسلَّم ليد السيد عامر صقر".

نهض بتوق يُسوي ثيابه، يرمق المكان من حوله بتدقيق، يرمي صورة غامضة لفتاة فوق جدار قربه بنظرة ظافرة ثم يغادر المكان.





بدارجته النارية وصل في وقت قصير إلى حيث يقطن "عامر"، ترجل دون أن يخلع خوذته المُعتمة، اتجه لحارس المبنى بخطوات ثابتة، واثقة، بيده مبلغ مالي كافٍ، ورسالة أكد عليه أن تصل لمنزل غريمه في هذه اللعبة..

لعبة النهاية، أو ربما بداية نهاية اللعبة!

**

المحيط مزعج لحده الأقصى..

"إياد" غاضب، منطوٍ كون "ليان" قد فازتْ في أحجيتها وتفوقتْ عليه، والصغيرة تضايقه وتتشبث بأمها مبتهجة. زمَّ شفتيه وتوجه لوالده بتعليق محتج:

- صورتها أكثر بساطة من صورتي، من المتوقع أن تسبقني في إنهائها.

لم يعجب المدللة استهانته بفوزها فاعترضتْ بغيظ حانق:





- اعترِفْ أنني أكثر ملاحظة ومهارة منك إياد، لا تستخِف بجهدي لأنك فقط خسرتْ.

تدخلتْ والدتهما تفض الاشتباك الذي راقبه الأب بحاجب مرفوعِ دون محاولة للتدخل كعادته الصموت:

- كلاكما ماهر فيما يفعل عزيزَيّ، لا ينبغي أبدًا أن تستاءا من نجاح الآخر، أحدكما مرة والثاني مرة.

- هذا هو حال الدنيا.

أتتْ من "عامر" شبه شاردة قبل أن يردف:

- يومٌ لك ويومٌ عليك.

عقد الابن حاجبيه فبدا أشبه بأبيه، حين سألتْ الصغيرة بفضول:

- ماذا يعني ذلك أبي؟

رفعها بين يديه في محاولة لصرف ذهنه عن آخر قضاياه العسيرة:





- يعني أنكِ فزتِ اليوم، ابتهجي بذلك الفوز وتذكري مذاقه، في الغد ربما يفوز إياد، لذا حينها لا تحزني وشاركيه سعادته بنجاحه.

حاوطتْ عنقه بذراعيها وقبلتْ وجنته:

- أنا أفعل ذلك دومًا، هو من لا يشاركني سعادتي.

رمى ابنه بنظرة مؤنبة ابتسم لها الفتى بخجل، عقَّب بحنو:

- بل أفعل ليان، حتى أنني سأحضر لك مثلجات الفراولة الآن ابتهاجًا بفوزك.

قفزتْ من أحضان أبيها، تتبع شقيقها الذي أمسك بيدها بحماس في طريقهما إلى المطبخ.

استدارتْ زوجته إليه بنظرة متفحصة، أجبرته على التبسم والتساؤل:

- ماذا؟

جاورته على الأريكة باهتمام:





- تبدو شارد الذهن!

تنهد بانزعاج وقد عادتْ أفكاره إلى حيث لغزه المُعقد:

- بالفعل.

ربتتْ على كفه برفق متفهم:

- لمَ لا تعتكف بمكتبك وتبدأ لُعبة جديدة؟ ربما يساعدك التركيز فيما تحب على الوصول إلى ثغرة ما كعادتك.

تأملها لوهلة قصيرة، نهض بإثرها يلتقط علبة تبغه من فوق الطاولة في طريقه لتنفيذ نصيحتها، سمع همهمتها الغاضبة فبرَّر ببراءة:

- تساعدني على التركيز كما تعلمين.

اختطفتها منه بغتة:

- لا، اتفقنا أن تقلل من التدخين للحد الأدنى، جسدك أطلق صرخته مرة، ربما مستقبلاً سيعلن حربه عليك عامر.





ولم تمانع في التودد إليه بمحبة كي لا تجبره على سلك درب العناد، اقتربتْ تُربت على صدره بعاطفة:

- لن أتحمل أن تسقط ثانية.

رمقها بنظرة ماكرة، يدرك التفافها ويتقبله منها، ضمَّ كفها بقبضته وضغطها بطمأنة:

- مادمتِ تعتنين بي سأظل بخير.

لوحتْ بسبابتها في وجه بحزم أمومي:

- جيد، اتفقنا إذن، سأتركك لقضيتك، وأذهب لأرى ماذا يفعل الصغيرين؟

والتفتتْ من وراء كتفها نحو المطبخ الصامت بنظرة متوجسة:

- ذلك الهدوء يريبني.

ابتسم بتلاعب:

- أظن أن هنالك كارثة في الطريق.

ضحكتْ وهرولت إلى حيث طفليها:





- يا إلهي، أرجوك لا تقُل ذلك.

- ليلى.

توقفتْ بتساؤل جاوبه بجدية:

- لن أمانع في قدح من القهوة مادُمتِ قد حرمْتِني متعة التبغ.

أشارتْ لكلتا عينيها وعلى وجهها يتجلى استمتاعها بطاعته ورضاها عنه:

- خلال دقائق، بعد أن أطمئن إذا كانت الأمور على ما يرام بالداخل أم أن إعصارًا قد زار مطبخي!

ندتْ عنه ضحكة خافتة وتركها لمهتمها الشاقة. توجه هو إلى مكتبه، يغلق الباب من خلفه، يخطو لركن الغرفة حيث قبعتْ منضدة منخفضة، تعلوها لوحة شطرنج بلونيها المميزين، اتخذ مقعده أمامها، رتب القطع بتمهل، راقبها للحظة ثم حرك أول بيدق بنصف حماس..





أدار اللوحة وبدأ في تحريك القطع لكلا الطرفين، الأسود والأبيض، قلعة هنا، فارس هناك، الملك في خطر، كانت لعبة قصيرة، لكنه أنقذ ملكه الأسود قبل لحظة من سقوطه بحركة خاطفة.

تنهد يراقب القطع بتركيز بتره ظهور زوجته على بابه، تحمل القدح وبيدها الثانية تمسك مظروفًا أزرق اللون؛ لم يكترث -حين مرآه- لسواه!

**

"رجلٌ مات..

وُجد مشنوقًا بأنشوطة معلقة لخطاف حديدي صدئ بسقف غرفة مقفلة من الداخل، المشهد يوحي بانتحار لكن كيف صعد ولفَّ مشنقته حول عنقه إذا كانت الغرفة خالية من الأثاث؟

فقط بقعة كبيرة من الماء أسفل جسده، تُدلل على أثر بلل..





هل قتل نفسه، أم قُتِل؟"

**

كان يحب الألغاز، يفككها بيُسر، حتى الصعب منها، يشارك أطفاله تلك اللعبة، ويختلق بعضها لأجلهم بنفسه.

لا يعلم كيف أتتْ تلك الرسالة لعقر داره؟ من جاء بها أو أرسلها؟

كل المعلومات التي يمتلكها أنه رجل، طويل، يرتدي ثيابًا عادية للغاية ويضع خوذة قيادة فوق رأسه تخفي وجهه بالكلية. تركها بيد حارس العقار مع نفحة سخية تجعله يستجيب لرغبة صاحبها بتوصيلها لعتبة بابه.

أمسك بالصورة التي التقطها أحد خبراء المعمل الجنائي للرسالة، يقرأ ما فيها، يزم شفتيه بضيق شاعرًا بانتهاك خصوصيته، أوردته تنزف غضبه؛ كون قاتل لا يبالي بالأرواح يجد الأمر مسليًا حد جرِّه للعب معه، وخوض مغامراته بصحبته.





اللغز بدا له تافهًا، لكن بين سطوره يحمل رسالة خفية، استنتاج عليه أن يصل إليه في أقرب وقت كي ينقذ الضحية القادمة!

أخبره القاتل أن هذا هو اللغز الأول، هناك اثنان تاليان سيأتيانه تباعًا، في كل منها تلميح كافٍ، يقود لآخر، خيط هام مع ربطه ببقية الخيوط سيمكنه من منعه لو توصل إليه قبل أن يمارس مهمته كملاك للموت.

مسح وجهه بكفه بضيق، رفع بصره لمعاونه الذي طرق باب مكتبه بالقسم وخطا يعبره بوجه مغتاظ، يناوله تقريرًا من ورقة واحدة:

- لا شيء، صفرٌ كبير.

زفر "عامر" بإحباط، كان ذلك متوقعًا، لكنه الأمل الذي نتشبث به كي ننجو بأنفسنا من براثن الخوف والفشل..

أتراها ستكون قضية فاشلة بلا فاعل!

تناوله منه وألقاه فوق المكتب دون أن يطالع ما به:





- لم أتوقع أن نجد شيئًا سيف، الرجل محترف، يتقن ما يفعله، ثابت لحد كبير، ويدرك أننا عاجزون عن إيجاد دليل يقودنا إليه.

شرد يفكر في مشاهد احتفظ ذهنه بتفاصيلها:

- يُجيد تنظيف مسرح الجريمة إثر انتهائه منها، لا يترك أثرًا يخبرنا عنه، وكل التحاليل النفسية الجنائية تشير لكونه متمرس، هذه الجثث ليستْ أول قتلاه بالتأكيد. لقد أتقن ما يفعله بممارسات سابقة أفلتَ منها بالفعل.

غمغم "سيف" بحمية حانقة:

- لكن كيف لم نكتشف جرائمه من قبل إن لم تكن هذه هي الأولى؟

نقر "عامر" بأنامله على الخشب البارد:

- لأنه لم يتبع نمطًا محددًا من قبل، كان الأمر أكثر عشوائية، الآن هو يفعله بطقوس خاصة، ويخلف من ورائه توقيعًا واضحًا.





- الوشاح الأزرق.

- ووضعية الصقر المُحلق.

اقشعر بدن المعاون بألم:

- والعري.

رمقه "عامر" بثبات يواري استيائه:

- الضحايا لا رابط بينهم، تقارب السن وحسب، والعمل بوظيفة بسيطة تعينه على سد احتياجاته، فتى توصيل، عامل بمحطة بنزين، وهند التي أفادت زميلاتها بالسكن الجامعي كونها تعمل نهارًا بأحد المكتبات القريبة من الجامعة.

مال "سيف" يرمق صورة الرسالة بحذر، يفكر في جواب:

- انتهاءً بهذا اللغز، ما الذي يريده؟ بماذا يفكر؟

التقطها "عامر" ثانية يدقق فيها، يتأمل المظروف ولونه:

- يريد مني أن أحل القضية، أن أنقذ الضحية قبل فوات الأوان.

وتنفس بتمهل كأنما يمضع كلماته قبل النطق بها:





- يريد مني أن أقبض عليه!

- ماذا؟

رمى "عامر" الصورة من يده بانزعاج:

- لا دوافع أخرى أستطيع التفكير فيها، يحشرني بزاوية الانتظار، أترقب لغزه التالي كي أجد الحل، ومن الحل أربط الخيوط التي توصلني إليه.

- لكن ما الحل؟

ابتسم "عامر" وسأله في المقابل:

- أخبرني أنت.

فكر "سيف" لهنيهة، أراد إبهار رئيسه فخالف ظواهر الأدلة في الأحجية:

- الرجل قُتل، لم ينتحر، علَّقه أحدهم وحطم عنقه.

انحسرتْ ابتسامة "عامر" بشيء من خيبة:

- لا، هو انتحر بالفعل، اللغز شهير للغاية سيف.





تلعثم معاونه بحرج:

- كيف؟

رد "عامر" بسلاسة:

- وقف على مكعب ثلج كبير، وذلك يفسر بركة الماء من تحته. المكعب ذاب بطبيعة الحال، فبدا وكأن الرجل قد قُتل.

عقد "سيف" حاجبيه باهتمام:

- وما الخيط في هذا اللغز؟

تراجع "عامر" بمقعده مفكرًا:

- لن نستوضح ذلك إلا مع اللغز الثاني!

- قد يكون الماء؟

صمتَ لوهلة أردف عقبها:

- أو الانتحار.

أضاف "عامر" بشرود:





- أو الثلج.

بنهاية كلمته طرق أحد الجنود بابه، سمح له بالدخول وكانت بيده الرسالة الثانية!

**

"وُجد رجلاً ميتًا وسط حقل ملئ بالثلج..

الأثر الوحيد الذي وجدته الشرطة كان لمجموعة من آثار الأقدام بين خطين متوازيين.

عمن يجب أن تبحث الشرطة؟"

**

لغز آخر، تنبه له "سيف" هذه المرة فأجابه بذكاء:

- شخص على مقعد متحرك، أعرف هذا اللغز.

استقام "عامر" يقترب من النافذة، يتابع الليل يُرخي سدول ستاره الداكن ببرودة خفيفة تناسب بداية الشتاء. يزفر بتفكير غائب، يمسد جبينه، يضم قبضته أسفل ذقنه عاقدًا ذراعيه،





يصارع ذهنه المتقد لربط الخيطين ولا يجد رابطًا يلائم كليهما أو يجمع بينهما. تنحنح الآخر من خلفه بخفوت، كأنما يخشى أن يكسر به هدوء اللحظة أو يبتر معه حبل أفكاره.

انتبه له فاستدار يرميه بنظرة عبرته، كأنه لم يره، يحادث نفسه بتركيز:

- ماء، ثلج، مقعد متحرك، ثلج مجددًا.

لم ينطق "سيف" بحرف، مدركًا كون رئيسه لا يوجه إليه خطابه، راقبه بأمل، يستشعر أنه يكاد يلامس شيئًا لا يلمحه هو.

أخيرًا ضم "عامر" قبضته، تناول علبة تبغه ضاربًا بأوامر الطبيب وزوجته عرض الحائط، أشعل إحداها وغضبه يكتنفه، نفث دخانها صامتًا حتى أجهز عليها فأشعل أخرى.

تأخر الوقت، رحل زميله ولم يرحل هو عن مكتبه، ظل يراجع الملفات الثلاث، يجاهد لإيجاد ولو قرينة ضئيلة ترشده للضحية الرابعة.





انشغل تمامًا حتى ارتفع رنين هاتفه يعيده من فوضاه إلى أرض الواقع، باتصال من زوجته. ألقى نظرة سريعة على ساعة الحائط التي أنبأته بتخطيها لمنتصف الليل، شتم بداخله وأجابها دون أن يمنحها الفرصة لتوبيخه:

- أعتذر كثيرًا ليلى، أعلم أنني تأخرتُ لكن لدي كل العذر كما تعلمين.

وصله صوتها مؤنبًا:

- ما الذي تفعله عندك حتى هذا الوقت المتأخر عامر؟

ضغط جسر أنفه بإنهاك:

- كنتُ أراجع بعض الملفات ولم أشعر بنفسي.

- لا جديد، تلك عادتك، لكنك نسيت موعدك مع الطبيب اليوم وفوَّته.

ضرب جبهته بباطن كفه يلعن ذاكرته التي تتناسى عامدة كل شيء عدا عمله:





- أعدُكِ، سأحجز موعدًا جديدًا بأقرب ما يمكنني.

جاوبته بهدوء توجس له:

- لا عزيزي، لا تُشغل بالك، أنا فعلت، وسأذهب بنفسي معك.

تراجع في مقعدة ببسمة واسعة:

- زوجتي الحبيبة التي تعتني بي.

- نعم، كيف كنت ستحيا من دوني؟

- لم أكُن لأفعل بالتأكيد.

تنحنحتْ تجلي صوتها:

- الآن اتْرُك كل ما في يدك وعُد للبيت، بدأتُ أرق لحال الجندي الذي تركته بالخارج.

عقد حاجبيه مندهشًا:

- لماذا؟

غمغمتْ بأمومة محضة:





- لا أظنه قد تناول وجبةً مشبعةً طوال اليوم، قبل ساعة فقط أرسلتُ إليه طعام العشاء فأتتني زوجة الحارس تخبرني أنه رفضها لولا أنهم أصروا عليه.

عبس بجدية:

- ذلك عمله ليلى.

عاندته بحزم:

- لا أظن أن عمله يتضمن حماية زوجة رئيسه.

فنَّد بذات الجدية:

- لا، ذلك جزء من صميم عمله؛ تأمين من يحتاج لحماية، لا يهم إن كان رئيسه أو أي شخص آخر.

استسلمتْ بزفرة قصيرة:

- حسنًا لن أُجادل، من فضلك عُد وكفى تأخيرًا بالله عليك.





أقفل الخط واستقام يُلملم الأوراق، يجمعها سويًا ويعيدها إلى الجارور. يلقي نظرة أخيرة على المكان ثم يتناول مفاتيحه وهاتفه ويغادر.

فربما يحمل الغد معه أملاً جديدًا.

**

بنهاية اليوم الثالث بدأ "عامر" يفقد جزءًا من هدوئه وثباته المألوفَين للجميع، كان يجوب ردهات مخفر الشرطة بحثًا عن شيء ما يجهله كل من حوله. يلاقي زملاءه، يخطو لمكتب رئيسه الذي يتفهم ما يمر به، يتناقش معه في سفسطة عن القضية المُعلقة خشية أن تُقيد ضد مجهول، لا يجد ما يفيد فيعود أدراجه إلى مكتبه مُحملاً بالخيبة، شاعرًا ببعض قنوط وقد تأخرتْ الأحجية الثالثة في الوصول.

عندما استعد للانصراف وجد معاونه يقتحم مكتبه على غير عادته دون أن يطرق الباب، يرفع يده بالمظروف الأزرق هاتفًا بحماس عجيب:





- الرسالة وصلتْ سيدي.

لم يأبه "عامر" لما فعله "سيف"، انقض يجذبه من يده، يفُضه بعناية متعجلة ويقرأ اللغز..

"دخل رجلان -مبللان بالكامل كأنما خرجا للتو من أعماق نهر- لأحد مطاعم المأكولات البحرية، أتتهما النادلة لتسأل عما يريدان..

طلبا وجبتين من أسماك النمر بالثوم والليمون، وكوبين من عصير البرتقال المثلج، ثم ألمحا لها بصفاقة عن إعجابهما بها..

ضايقها ما فعلا، لكنها متطلبات المهنة التي عليها أن تتحملها وتُمررها..

أحضرتْ لهما ما رغبا فيه، كان أحدهما أكثر عطشًا من الآخر فتناول عصيره قبل وجبته، أما الثاني فقد أكل أولاً.

عندما غادرًا المكان، مات الثاني دون سبب واضح!

هل يمكنك التخمين سيد عامر؟ كيف مات ومن قتله؟"





هذه المرة وجَّه له السؤال بصيغة مباشرة، ذكر اسمه وكاد يتخيله يبتسم بسخرية بينما ينقش حروفه فوق الورق.

فكَّر لدقيقة وازاه خلالها "سيف" الذي تغضن جبينه في محاولة لتفكيك شفرة الحل.. اعتدل "عامر " فجأة وقد انبثقتْ الفكرة برأسه:

- الثلج!

انتفض "سيف" بفضول:

- ماذا؟

نهض "عامر" يدور في الغرفة:

- الثاني مات مقتولاً بالسُم، والسُم وُضع في مكعبات الثلج داخل العصير، لم يمُت الأول لأنه شرب عصيره سريعًا قبل ذوبان الثلج، لكن الثاني تأخر حتى أنهى طعامه أولاً.

توقف لبرهة، يضيق ما بين جفنيه، يعود لزميله:

- النادلة.





وكان تلك آخر معلومة توصل، وآخر خيط!

**

"توقف مكانك، أو سأطلق النار"

"تأخرتَ كثيرًا سيد عامر، لقد فشلتْ"

أمام باب المُبرد الضخم -بأحد المطاعم الواقعة على نيل العاصمة- تجمد الزمن باثنين..

قاتل أمام فوهة سلاح رجل عدالة.

**

المشهد كان مقبضًا.

الجثة الرابعة، لفتاة قعيدة، تعمل كمحاسبة بمطعم، تجلس خلف مكتب خشبي صغير بغرفة ضيقة في نهاية أحد ممراته خافتة الإضاءة، وظيفة تعطَّفَ بها مالك المكان عليها عندما علم بحاجتها للمال، وقدراتها الحسابية الفذة.

الخيوط الثلاث..





"ثلج" ومتى يتحول الماء إلى ثلج؟

"مقعد متحرك" بالتأكيد يخص الضحية لا الجاني.

"مطعم" وأحد العاملات به وإن تغير موقعها من خدمة الزبائن للحسابات.

لم يمكنه التوصل للخيوط جميعها في وقت مناسب يمنع معه حدوث الجريمة، أفلتتْ الأمور من قبضته فوصل متأخرًا للغاية لكنه ولعدالة السماء لحق بالقاتل وألقى القبض عليه.

الخيط الأخير كان يحمل التفاصيل الهامة، العنوان إن شئنا الدقة، وإن وجب عليه البحث في معظم مطاعم الأسماك القريبة من النهر الذي حدده بنوع الأسماك النيلية المذكور في أحجيته.

تأخر ليوم واحد كان ثمنه حياة الفتاة العشرينية دون ذنب جنته سوى أنها وافقتْ معاييره ونمطه المُتبع.





يوم واحد اعتصر عقله طوال نهاره وليله كي يتوصل إلى طرف خيط النهاية، لكنه عندما وجده علِم أنه تأخر.

عارية، بملامح تحمل أثر بكاء، جسد مشدود كأنه وتر، وذراعان محلقان، داخل المُبرد الذي فُصل عنه التيار الكهربي قبل أن ينتشر بداخله رجال المعمل الجنائي.

المشهد يحمل بصمة المجرم وتوقيعه، مختنقة، يغطي أثرَ الخنق وشاحٌ أزرق.

مجرم يُدعى "شريف عوني"!

**

البداية تعود لاثني عشر عامًا مضتْ، حيث الجريمة الأولى، الجريمة التي حكمتْها العاطفة ونفذَّها الغضب والقهر..

في امرأة يفترض بها أن تكون جداره الحامي وأمانه من العالم.

أمه!

"قتلتَ والدتك؟"





استنكر المحقق بالسؤال بينما وجهه يمتعض وحواسه تنفُر، ابتسم الجالس بمواجهته بلامبالاة:

- نعم، ولو عاد بي الزمن لفعلتُها، ولكن ببطء وتلذذ هذه المرة.

أثار جوابه همًّا بصدر "عامر"، وضع ثقلاً غريبًا فوق قلبه، حاول تخطيه ملتزمًا برسمية التحقيق:

- لماذا؟

استرخى "شريف" في كرسيه الجلدي غير المريح، يُظهر كسلاً عجيبًا:

- استحقتْ الموت. كانت بغيًا، تأتي بالرجال لفراش أبي الذي مات وأنا بعمر خمس سنوات، لا تأبه لوجودي، لرؤيتي لها في أوضاع مشينة، مقززة، كبرتُ والأصدقاء ينادوني بابن العاهرة، بررتْ لي عندما سألتُها باكيًا في مرة بأنها لا تجد المال لتنفقه عليّ لذا تبيع جسدها، وحينما اعترضتُ بأن لدينا عائلة أبي ضحكتْ بسخرية وأجابتني أنهم لصوص.





تنهد يستعيد ذكريات أمسه دون شعور واضح قد يقرأه المواجه له:

- في النهاية قتلتُها، لم أقصدها في حينها، هي لحظة غضب امتزج بالضعف والجنون، أحكمتُ حول عنقها وشاحها الأزرق الذي ادعتْ به الطُهر والعفاف وسط الناس وهي تستر بقماشه شعرها. جذبته بكل قوى يمتلكها جسد فتى يافع في السادسة عشر من عمره. فتى وجدوه بعدها فاقدًا للوعي وقد أنهكه البكاء فوق جثمان أمه التي عاد من مدرسته ووجدها مقتولة!

تسرب شيء من ماضيه فوق ملامحه، شيء مخيف، يفيض بالمقت والكراهية والحقد:

- تولى أحد أعمامي رعايتي، كان يُجبرني على العمل في أرضه التي هي أرضي، منعني دراستي، أرغمني على خدمته وخدمة أبنائه الذين يدرسون في أكثر مدارس المدينة القريبة رُقيًا ونظافة. كان يمُنُّ عليَّ بمالٍ يُفترض أنه مالي، في نهاية الأمر اكتفيتُ وهربت. تركتُ لهم كل ما ينبغي أن يكون مُلكي ورحلتُ إلى العاصمة،





حيث أتلاشى في طوفان البشر بها، لا يعرفني أحد ولا أعرف أحدًا.

- لماذا عُدت للقتل؟

ابتسم "شريف" بسخرية باردة:

- سيد عامر، أنا لم أتوقف عنه مطلقًا.

وبدأ العد على أصابعه متغافلاً، لاهيًا عن النظرة التي ظهرتْ على وجه غريمه:

- طوال السنوات الماضية كان لي ضحايا، ربما على فترات متباعدة أكثر، ربما كنتُ أخفي الجثث حتى أهرب من العقاب، ربما بدأ الأمر بتجربة، تبعها الشغف، فالإدمان، ثم الإتقان. في جميع الأحوال لنزع الروح لذة.

جابهه "عامر" بصرامة:

- ما تقوله اختلالٌ خالص.

انحنى طرف شفتيه بشبه بسمة، يتشدق بما يُحب:





- كلنا مختلون بدرجة ما، أليس كذلك؟

- بالطبع لا.

مال "شريف" يستند بمرفقه إلى المكتب:

- بداخل معظمنا رغبة عارمة تدفعه للأذى، البعض يُحجمها، يتجاهلها، يظن في نفسه الخير لأنه يفعل، والبعض الآخر يستسلم لها، يدمنها، يعترف دون خجل أو خوف من المجتمع الذي يُقيد حرية ممارساته الحيوانية البسيطة..

وتوسعتْ بسمته باشتهاء حقيقي:

- كالصيد.

- تسمي نفسَك صيادٌ إذًا؟

تراجع لوضعه الأول مجيبًا بأريحية:

- يمكنك إطلاق الصفة عليّ، نعم.

- أخبرني: كيف تنتقي ضحاياك؟

عدَّل له "شريف" بشبه غضب:




- فرائسي.

عاد لاسترخائه في اللحظة التالية كما يليق باختلاله:

- عقب فراري من قريتي ظللت لعامين أتنقل بين وظائف وضيعة، تعرضتُ معها للكثير من الإهانات، في العام الثالث حصلتُ على مأوى مستقرٍ بأحد المناطق الشعبية. الناس هناك يسهُل خداعهم، يمكنك ببساطة أن تقتل ليلاً وتظهر بوجه بريء صباحًا لتساعدهم في تزيين الشارع استعدادًا لزفاف أحد أبناء المنطقة. فريستي الثانية كانت أحد أبنائهم للأسف، لم أُرِد قتله لكني فعلتُها لخاطرها.

قطَّب "عامر" بتساؤل، لم ينتبه له ذلك الذي يسرُد حكايته منذ لحظة الـ كان يا ما كان:

- لا أدعي بأني رجل يمتلك من العواطف ما يُمَكِّنه من التعلُقِ بامرأة، أعترف برغبتي بها كذكر عادي، وكنتُ أعلم أنها تريدني. لكن ابن عمها الذي يُحبها منذ طفولته أمسك بنا في غرفتي مرة،





هاجمني وأراد فضحها، كان عليَّ أن أكتُم سري وسرها، كان عليَّ أن أنهي حياته.. وفعلتُها.

زفر على أثر كلماته بامتعاض:

- البلهاء رُغم ما فعلته لأجلها أصابتها حالة من الهيستيريا، هربتْ مني، وعلمتُ أن أول شيء ستفعله هو أن تخبرهم عن فعلتي؛ لذا أخرستُها بالمثل. عصفورين بحجر واحد وفي ليلة واحدة.

غاب بصره في متعة وهمية لم يحاول معها "عامر" تشتيته عما يقُصُه، يريد أن يصل به لاعتراف تام، يحمل كل التفاصيل:

- يومها أيقنتُ أن القتل هو نشوتي الحقيقية، أنني خُلقتُ لأنزع الأرواح من هؤلاء الضعفاء، العجزة، الذين كسرتهم الحياة فاستسلموا وانكسروا.

- كم ضحية حتى الآن؟

تيقَّظ للسؤال ببسمة:





- فقدتُ العدد، لكن يمكنني أن أدلُك على أماكن دفن الجثث.

- أين؟

تلكأ في الجواب، رفع حاجبه وغمز "عامر" بعبث:

- المقابر.

- ماذا؟

- نعم، أليس ذلك مكان دفن الأموات؟ مهنتي كانت عامل مقابر، أدفن مع الأهالي موتاهم نهارًا، وأُواري ما يخصني ليلاً، في تلك البقاع لا أحد يسأل عن المشردين العاجزين، لا أحد يُفتش عنهم أو يريدهم، هناك وهنا بينكم أيها الصفوة، كلما قلَّ عددنا بات عالمكم أفضل، لذا لم أتوانَ في تخليصكم ممن يُشبهني، اعتبره تنظيفًا لقمامة بشرية تزكم أنوفكم.

عقد "عامر" جبينه بسخط حبيس دواخله، لا يباح أن يظهره:

- وهكذا أقنعتَ نفسك أنك تقوم بعملٍ صالح، أليس كذلك؟

لوح "شريف" بأصابعه في حركة بطيئة:





- لا أحتاج لذلك، أنا أفعل بالفعل، وبمتعة تامة، حسب تصنيف هولمز ودي برجر يمكنك وضعي تحت بند القاتل الموجه نحو مهمة.

- تصنيف قاصر، لكن.. لا أظن ذلك، سأختار لك المتعة، بدافع القوة والتحكم.

لم يندهش "عامر" من كونه مثقفًا بعلم النفس الجنائي، الشاب أمامه يبدو راسخًا، واثقًا، مُدركًا وواعيًا بالكامل لما يقول. تأمله "شريف" بنظرة باهتة، خاملة يشوبها ضيق، وهو يكمل:

- العجز الذي شعرتَ به طيلة عمرك دفعك للنقيض منه تمامًا، دفعك للنقمة على هؤلاء الذين يشبهونك، في البداية تمردتَ ونزعتَ روح مصدر عجزك الأول، بعدها انطلقتَ لا تلوي على شيء في طريقك نحو كل عاجز، والغِل يتحكم بك.

انحنى "عامر" فوق مكتبه، يشبك أصابع يديه:

- أكاد أجزم أنك منحتَ بعضهم الفرصة للمقاومة!





وغاص بعينيه يثقب قاع أفكاره:

- هند على سبيل المثال.

- كيف خمنت؟

ابتسم "عامر" بثبات:

- لا مجال للتخمينات هنا، الدلائل وحدها مُعترفٌ بها.

توقف للحظة يستعيد مشهدها:

- قبضتك فوق ذراعها، الأثر الذي خلفتَّه هناك، لقد فتحتَ لها طريقًا للفرار ثم لحقتَ بها وأعدتَها إلى حيث أنهيتَ حياتها، أوقِفْنِي إن كنتُ مخطئًا.

لمعتْ عينا "شريف" بإعجاب راضٍ:

- لستَ رجلاً ذكيًا فقط سيد عامر، أنتَ أيضًا مثقف، قارئ، ودارس؛ لهذا اخترتُك.

أشار "عامر" للجندي الواقف عند الباب، اقترب من الجاني، أوقفه وصفَّد معصميه:





- لا يهمني إعجابك، ما يهم الآن أن تنال جزاءك على جرائمك.

سخر "شريف" والجندي يقوده لمحبسه المؤقت:

- لن أموت سوى مرة واحدة على أية حال.

كان ردًا مغيظًا، فلو كان الأمر بيده لأوصله لحدود الموت وأعاده ألف مرة، لكنه القصاص، به رحمة حتى وإن طُبِّق على من لا يرحم.

أوقفه قبل مغادرته بسؤال مُتمم:

- لماذا بدأتَ تلك اللعبة؟ لماذا أردتَ أن أُلقي القبض عليك؟

استدار إليه بنظرة باهتة:

- مللت، وأنت الرجل الأذكى فيمن قابلت من المحققين، كنتُ أعلم أنه ببعض الجهد يمكنك أن تصل إليّ، وإن لم تفعل فسأعتبرها رسالة كي أستمر في مهمتي لتخليص عالمكم من العاجزين.





انغلق الباب من خلفه، ومعه أقفل ملف قضية حملتْ بين طياتها الكثير من الظلم، والخسارة.

حينما عاد "عامر" لمنزله ليلتها وجد رُقعته على حالها الذي تركها عليه قبل أيام، تأملها بفتور خاوٍ من كل انفعال، وبحركة واحدة تخلى عن كل الدفاعات..

وقتل الملك.

تمت بحمد الله

أبريل 2023



